الممارسة الاستدلاليّة للخطاب الشّعري: تفاعل أم تطويع؟ الافتراض المسبق في قصيدة "في القدس" لـ: "تميم البرغوثي" نموذجا

Deductive Practice of the Poetic Discourse: Interaction or Adaptation? The Presupposition in a Poem "In Jerusalem" by Tamim Al-Barghouti as a Model

ابتسام لمنور زريق
أستاذ مشارك / جامعة محمد خيضر بسكرة / الجزائر

Ibtissam Lemnouar Zarik
Associate Professor / Mohamed Khider University of Biskra / Algeria
Ibtissamzarik90@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/06/19، تاريخ القبول: 2021/09/25
E-ISSN: 2616-9843
P-ISSN: 2616-9835

Received: 19/06/2021, **Accepted:** 25/09/2021
DOI:10.33977/0507-000-060-001
https://journals.qou.edu/index.php/jrresstudy

الملخص

تسعى هذه الدّراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف، منها: الكشف عن المسكوت عنه في الخطاب الشّعري البرغوثيّ، من خلال اعتماد قضيّة مهمة من قضايا التّداوليّة – إحدى العلوم الحديثة- وهو الافتراض المسبق؛ والهدف منه هو الوصول إلى المقاصد التّي يهدف الشّاعر إلى نقلها للآخر، وذلك بوساطة العمليّات التّأويليّة التّي تسهم في تحقيق الهدف المرجوّ، إضافة إلى تمكين المتلقّي من استبطان النصوص بغية الوصول إلى المضمر من القول. ومن هذا المنطلق كان لقصيدة "في القدس" لـ: " تميم البرغوثي" الحظّ الأوفر من الدّراسة وفق قضية / آلية الافتراض المسبق، وذلك من خلال اتّباع المنهج الوصفي بآلية التّحليل، وقد أفرزت الدّراسة جملة من النّتائج، نذكر أهمّها: تحمل القصيدة معاني وإيحاءات تجعل من الممارسة الاستدلاليّة أمرا ممكنا لاسّيما مع التّنوع بين أنواع الافتراض المسبق الذّي شهده الخطاب، فضلا عن ذلك لغة الشّاعر ورصانتها ومحاكاتها للواقع الفلسطيني الذّي انعكس على التّحليل ومنحه أبعادا أخرى أسهمت كثيرا في استبطان كنه الخطاب واستكشاف خباياه، الأمر الذّي يجعل من القصيدة بنية مترابطةً متفاعلةً والواقع.

الكلمات المفتاحية: الاستدلال، الممارسة، الخطاب الشّعري، التّفاعل، التّطويع، التّحليل.

Abstract

The current study seeks to achieve a set of objectives, mainly revealing the implicit in al-Barghouti's poetic discourse by adopting an important pragmatic mechanism -one of the modern sciences- which is presupposition. Accordingly, the aim of this latter is to reach the purposes that the poet wants to deliver to others through inferential ways that contribute to achieving the desired aim and enable the addressee to introspect texts to reach the implicit saying. In this sense, the poem "in Jerusalem" by 'Tamim al-Barghouti had a big chance of being studied according to the presupposition issue/ mechanism by following the descriptive approach with reference to the analysis mechanism. Thus, this study has produced a set of significant results, and the most important is that: The poem carries meanings and overtones that make deductive practice possible, especially concerning diversity among the types of presupposition within the discourse, in addition to the sobriety of the poet's language by imitating the Palestinian lived reality which was reflected in the analysis and gave it other dimensions greatly contributing to discourse introspection and its exploration. This is what makes the poem a coherent and interactive structure with reality.

Keywords: *Inference, practice, poetic discourse, interaction, adaptation, Analysis*.

المقدمة

تتجاذب النّص جملة من النّظريات اللّسانية الحديثة والمعاصرة التّي تسهم بالضّرورة في تفكيك الخطاب الأدبي وفكّ شفراته وفق متطلّبات وتوجّهات مؤسّسيها؛ إنّ هذه النّظريات هي في مجملها خلاصة علوم متعدّدة، نذكر على سبيل المثال الافتراض المسبق الذّي يعد نظرية مهمة من النظريات التي تروم الكشف عن المضمر شأنه في ذلك شأن الاستلزام الحواري، والأفعال الكلاميّة، والاقتضاء التّخاطبي...إلخ. فالمطّلع على هذه الآليات يجدها تصب في فلك التّداوليّة التّي تبوّأت مكانتها من الفروع المعرفية الحديثة، واستحوذت على فكر وجهود باحثيها الذّين أبوا إلّا أن تكون مختلف آلياتها ونظرّياتها إحدى أسس تحليل الخطاب الأدبي مستندين في ذلك إلى العمليّات الاستدلاليّة التّي يحتكم إليها المتلقّي في استبطان كنه الإبداع الأدبي سواء أكان نثرا أم شعرا. وتستوقفنا قصيدة "تميم البرغوثي" الموسومة بـ"في القدس" والتّي تعد عماد ديوان "في القدس" لما تحمله من معاني ألم الاغتراب عن الوطن، ومظاهر التّهميش والتّشريد، ودلائل العروبة ودين التّوحيد، وبدورها تسترعي اهتمام الدّارس؛ فيقف أمامها وقفة المتمعّن المحلّل لما تحمله حروفها من وسمات الألم الممتزجة بالأمل، الممحّص لمضمرات تلكم الحروف، استنادا لما أقرّه (جورج يول) من أنواع للافتراض المسبق المتضمّنة في القصيدة، والتّي لها الأثر البارز في الكشف عن مضمرات القصيدة راصدة تفاعلها والواقع المعاش.

أهداف وأهمية الدراسة

- التّعريف بالممارسة الاستدلاليّة من خلال ضبط ماهيّة آليات الاستدلال التّداولي، لاسيما الافتراض المسبق، ومحاولة الكشف عن مدى إمكانيّة هذه الآليّة في تحليل الخطاب الأدبي ومقاربته ليس بالوقوف عند الجمل والعبارات فحسب؛ وإنّما باستبطان النّصوص والكشف عن مظانها من جهة وارتباطها بالواقع من جهة أخرى.
- تحديد مفهوم الافتراض المسبق وإبراز مكانته ضمن النظريات اللّسانية الحديثة التّي تسعى إلى إنجاح العمليّة التّواصلية بين المتحاورين؛ وهذا لا يتم بمنأى عن تحليل الخطاب الشّعري، الذّي كثيرا ما يحتاج من المتلقّين إلى طلب الدّليل من أجل فكّ شفراته وإيحاءاته المتعدّدة.
- الوقوف عند قصيدة "في القدس" لتميم البرغوثي التّي جمعت بين فخامة اللّفظ وقوّة المعنى، وبراعة التّصوير، بالدّراسة والتّحليل، متتبعين ما احتوته من افتراضات عاكسة للواقع الفلسطيني المعاش.

الإشكال المطروح

انطلاقا ممّا سبق نطرح جملة من التّساؤلات، أهمّها:

- ما المقصود بالممارسة الاستدلاليّة؟ وما مدى نجاعتها في الكشف عن المضمر من الخطاب الشّعري؟

- هل يمكن إسقاط آليات الاستدلال التّداولي على النصّوص الشّعريّة فتحدث بذلك تفاعلا بين الخطاب والعالم الخارجي، أم أنّ هذه الآليات لا يمكن تطبيقها على الشّعر، وما الممارسة الاستدلاليّة إلا عمليّة تطويع لا غير؟ وإذا كانت الممارسة الاستدلاليّة مجرّد عمليّة تطويع، فما الإشكالات التّي تعترض إمكانية تطبيق مثل هذه الآليات على الخطاب الشّعري؟

الدّراسات السّابقة

لعلّ صعوبة البحث في هذا المضمار والتوغّل في أعماقه، يكاد يحدّ من وجود الدّراسات التطبيقية؛ إذ اقتصرت جلّ الدّراسات على التنظير، والملاحظ أن معالجة الموضوع قد ارتبطت ارتباطا وثيقا بالمقالات العلمية، ومن بين الدّراسات التّي تّم الاطّلاع عليها في هذا المجال نذكر دراستين:

الدّراسة الأولى؛ ومعنونة بـ" الافتراض المسبق في الدّرس التّداولي أنماط وتطبيقات"؛ حيث تطرقت هذه الدّراسة إلى النّقاط التّالية: متضمنات القول، والافتراض المسبق المفهوم والأهمّية، وخصوصيات الافتراض، وفائدته بالنسبة للخطاب، وأنماطه، لتكون بذلك الدّراسة عبارة عن تنظير، وعلى غرار ذلك نجد الدّراسة الحاليّة تتّفق مع الدّراسة السّابقة في تحديد ماهية الافتراض المسبق، وتختلف عنها في كون الأولى قد فصّلت الحديث في الافتراض المسبق فضبطت بذلك معالمه، في حين أن الدّراسة الحاليّة قد اهتمّت بالكشف عن مضمرات الخطاب الشّعري من خلال استنطاق قصيدة البرغوثي استنادا إلى آليّة الافتراض المسبق.

الدّراسة الثّانية؛ وموسومة بـ" تجليّات الافتراض المسبق في ديوان -الكبريت في يدي دويلاتكم من ورق لنزار قبّاني"، فقد حاول الباحث في هذه الدّراسة التّعريف بالافتراض المسبق مع إبراز أهميّته في الكشف عن المضمر في الخطاب الشّعري دون معالجة أنواع الافتراض المسبق التّداوليّ التّي تضمنتها القصيدة، وتتقاطع هذه الدراسة مع أهداف هذه الورقة البحثية في الكشف عن ماهيّة الافتراض المسبق وتفترق في أمور عديدة، منها: الانتقال من العّام إلى الخّاص؛ أي بدءًا بالممارسة الاستدلاليّة مرورا بآليات الاستدلال التّداوليّ وانتهاءً بالافتراض المسبق وبيان أسباب حدوثه، فضلا عن التوسّع في تحليل الخطاب البرغوثي مع ما يتضمّنه من افتراضات مسبقة أسسّ لها (يول).

ومن أهمّ الدّراسات التّي اهتمت بالبحث في المدوّنة –قصيدة في القدس لتميم البرغوثي-، نذكر:

الدّراسة المعنونة بـ"تقنيات الحجاج في قصيدة في القدس لتميم البرغوثي" مذكرة ماستر لسنة 2018م/ 2019 م؛ لقد سعت الدّارسة من خلال بحثها إلى التّعريف بالحجاج مع محاولة رصد العلاقة القائمة بينه وبين التّداوليّة من جهة، وتتبّع تقنيات الحجاج من جهة أخرى. فضلا عن ذلك عمدت إلى إبراز هذه التقنيات من خلال استقراء وتحليل قصيدة في القدس التي كانت هدف الباحثة للولوج إلى خطاب البرغوثي والكشف عمّا يمتلكه من خصائص ومميّزات إبداعية وإقناعية، ولتحقيق هدفها المنشود ركّزت على محورين رئيسين؛ أولهما: التقنيات اللّغويّة والتّقنيات التداوليّة، وثانيهما التقنيات البلاغيّة، وهكذا، اقتصرت دراستها على عرض مجموعة من العناصر، وهي: التكرار، والإحالة، والأساليب الإنشائيّة، والروابط الحجاجيّة، والصّور البيانيّة والمحسنّات البديعيّة.

- الدّراسة الموسومة بـ"متخيّل المدينة وهولوكوست الهويّة في قصيدة في القدس لتميم البرغوثي"؛ والملاحظ على هذه الدّراسة أنّها أخذت وجهة أدبيّة ذات مقاربة سرديّة، الهدف منها الرّبط بين الواقع والمتخيل في قصيدة "في القدس" لتميم البرغوثي، من خلال التّركيز على خاصيّة التّصوير؛ لأنّ هذه القصيدة تصوّر واقع المدينة المتخيّلة ومصير الذّات هذا من جهة، وتكشف عن علاقة الأمكنة بالهويّة من جهة أخرى، لذا اقتضت الدّراسة التّركيز على مبحثين رئيسين؛ هما: واقع المدينة والاستلاب الهويّاتي، والمدينة المتخيّلة والتّشكل الهوياتي.
- الدراسة الموسومة بـ"جمالية الإيقاع ودلالته في قصيدة في القدس لتميم البرغوثي"؛ وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه الدّراسة قد اقتصرت على عرض الجوانب الصوتيّة والإيقاعيّة واتّجهت صوب الكشف عن جماليّاتها داخل القصيدة بالتطرّق إلى الإيقاع الخارجي (البحر بتفعيلاته، والقافيّة)، وقد شمل الإيقاع الدّاخلي؛ التكرار والتوازي، والنّبر والتنغيم، والطّباق والجناس، وإيقاع الحروف وإيقاع الحوار، وتوالي المتشابهات. والغرض منه استقصاء مظاهر الإيقاع الدّاخلي للجمل ودلالة كل مظهر من المظاهر الصوتيّة والإيقاعيّة التي أسهمت في تناسق إيقاع القصيدة وتناغمها.

وتأتي هذه الورقة البحثيّة لتبحث عن المسكوت عنه في قصيدة في القدس من خلال نظرية الافتراض المسبق، الذّي يستند إلى الآلية الاستدلاليّة للوصول إلى ما أضمر من الخطاب.

خطّة البحث

استهلّ البحث بملخّص شامل حول الموضوع، ثمّ مقدّمة ليختتم بمحصّلة للنّتائج المتوصّل إليها في البحث إضافة إلى توصيّات خادمة للموضوع من جهة وللمدونة من جهة أخرى. وتتوسط مقدمة البحث وخاتمته محاور عدّة بيانها كالآتي:

أولا: في ماهية الممارسة الاستدلاليّة: ويتضمّن هذا المحور عناصر عدّة نجملها فيما يلي: ماهيّة الاستدلال لغة واصطلاحا، والممارسة الاستدلاليّة، إضافة إلى ثنائيتي التّفاعل والتّطويع.

ثانيًا: **الممارسة الاستدلاليّة سبيل الكشف عن المسكوت عنه**: ويحوي هذا المحور مفاهيم لمصطلحات آليات الاستدلال التداولي بدءًا بالافتراض المسبق مرورا إلى الفعل الكلامي والاستلزام الحواري.

ثالثا: الافتراض المسبق في الخطاب الشّعري: كانت قصيدة " في القدس" لـ"تميم البرغوثي" المدوّنة المستهدفة في هذا المحور؛ من خلال السّعي إلى الكشف عن مضمرات الخطاب الشّعري بوساطة القيّام بالعمليّات الاستدلالية استنادا إلى الافتراض المسبق، وتوظيف أنواعه في القصيدة، كالافتراض المسبق الواقعي، والافتراض المسبق الوجودي، والمعجمي...إلخ من جهة، وربطه بالعالم الخارجي من جهة أخرى.

المنهج المتبع

وُظّف في البحث المنهج الوصفي بآليّة التّحليل؛ يتمثّل الوصف في: تتبّع آليات الاستدلال التّداولي، ومن ثَم تخصيص الدّراسة وتحديدها بالافتراض المسبق، وبيان أنواعه وتجليّاتها في الخطاب الشعري البرغوثيّ، في حين تبرز آلية التحليل في: تحليل القصيدة انطلاقا من الافتراض المسبق بأنواعه ومحاولة الكشف عن مدى إسهام هذه الآلية في جعل القصيدة متفاعلة والعالم الخارجي.

تمهيد

من أهم ما يستوقفنا في الدّراسات اللّغويّة الحديثة والمعاصرة، هو ذلك الزّخم المعرفي الطّارئ على كلّ حقل من الحقول المعرفيّة العاملة على مقاربة الخطاب ومحاولة تأويله، بغية استبطانه والكشف عن كنهه، لاسيّما أنّ الخطاب المستهدف ليس مجرّد كلمات لمعانٍ ظاهرة فحسب؛ وإنّما هو عبارة عن مجموعة من الأفكار المترابطة والمتراصّة شكلا ومعنى؛ بل وتتجاوز المعنى إلى معنى المعنى أو إلى المضمر من الكلام وذلك وفق متطلّبات السيّاق ومقصد المتكلّم من خطابه. إذ تؤدّي التعدّدية بالمتلقي إلى البحث عن المسكوت عنه من خلال عمليّة يصطلح عليها بـ "الممارسة الاستدلاليّة" للخطاب، وهي عمليّة وثيقة الصّلة بقضايا التّداولية التّي تفرض على الآخر طلب الدّليل للوصول إلى ما خفي أو أضمر من فحوى الكلام.

أولا: في ماهية الممارسة الاستدلاليّة:

1. ماهيّة الاستدلال:

أ. لغة: يذهب صاحب المقاييس المتوفى سنة 395هـ، إلى أنّ الاستدلال من مادة (د ل ل)، يقول: " الدّال واللاّم أصلان، أحدهما إبانة الشّيء بأمارة تتعلّمها، والآخر اضطراب في الشّيء. فالأوّل قولهم: دللت فلانا على الطّريق، والدّليل: الأمارة في الشّيء." (ابن فارس، 1979، 259/2).

ويقول ابن سيده المتوفى سنة 458هـ في معجمه المحكم (باب الثّنائي المضاعف)، مادة (د ل ل): "أدلّ عليه، وتدلّل: انبسط [...] وأدلّ الرّجل على أقرانه: أخذهم من فوقُ، وأدلّ البازي على صيده؛ كذلك. ودلّه على الشّيء يدلّه دلّا ودلالة فاندلّ: سدّده إليه [...] والدّليل الذّي يدلّك." (ابن سيده، 2003، 9 / 219، 220).

ورد في معجم لسان العرب لابن منظور المتوفى سنة 711 هـ، معنى الاستدلال ضمن مادة (د ل ل)، إذ: "الدّليل ما يستدلّ به." (ابن منظور، د ت، 1 / 1414).

لقد تحدث العسكري المتوفى سنة 395 هـ في كتابه "الفروق" عن أهم الاختلافات القائمة بين "الاستدلال" و"الدلالة" و"الدليل"، ولم يتوان لحظة في كشف الحجب عن المعاني الدّقيقة التّي تأخذها كلّ لفظة، مبينا الحدود الفاصلة بين هاته الثلاثيّة؛ فبالنسبة للدّلالة، يقول: "الدّلالة ما يمكن أن يستدلّ به قصد فاعله ذلك أو لم يقصد." (العسكري، د ت، 68) بمعنى أنّ فعل الاستدلال المرتبط بالدلالة لا يشترط المقصديّة فحسب؛ ويمكن تفسير ذلك بما ساقه من شواهد تبين أنّ الأفعال المنعدمة المقاصد ماهي إلا دلالة، وهذا ما يوضّحه قوله: "والشاهد أنّ أفعال البهائم تدل على حدثها، وليس لها قصد إلى ذلك." (العسكري، د ت، 68) أي مرجعه في العالم الخارجي، وإنّما قد تغدو الدّلالة معبّرة عن الدّليل إذا لم يحقق الفاعل العاقل شرط المقصديّة، يقول: "والأفعال المحكمة دلالة على علم فاعلها، وإن لم يقصد فاعلها أن تكون دلالة على ذلك، ومن جعل قصد فاعل الدّلالة شرطا فيها احتجّ بأن اللّص يستدلّ بأثره عليه، ولا يكون أثره دلالة، لأنّه لم يقصد ذلك، فلو وصف بأنه دلالة لوصف بأنه دال على نفسه، وليس هذا بشيء، لأنّه ليس بمنكر في اللّغة أن سمي أثره دلالة عليه، ولا أن يوصف هو بأنه دال على نفسه بل ذلك جائز في اللّغة معروف". (العسكري، د ت، 68) وهكذا، يُستنتج من هذا القول أنّ المقصديّة مرتبطة بالاستدلال العقلي، وكلما كانت دلالة الأفعال ذات مقصد وسمت بكونها دليلا، وتُستثنى منها الحالات التّي يتساوى فيها الدّليل بالدّلالة –أثناء انتفاء شرط المقصدية عند الفاعلين- كما هو مبيّن في المثال السابق (اللص يستدل عليه بأثره)؛ فإذا تقيدت الدلالة بتحقق شرط المقصديّة، فإنّ التأكد من مقصديّة اللص على جرمه مرتبط بأثره وهو "الدليل"، غير أنّ هذا الفاعل لم يقصد ترك الأثر الدال على الحدث (السرقة)، ولو تعيّن أنّه دليل على فعل ما مع انتفاء شرط المقصديّة (أن يكون الأثر دالا على الفعل)، ما كان ذلك يؤدي إلى فساد في اللغة (ليس بمنكر في اللّغة). كما قد يطلق الدّليل على فاعل الدلالة؛ أي كلّ من يمكن الاستعانة به، فيقال لكل من يتقدم القوم في المسير دليلا من باب المجاز. (العسكري، د ت، 68) فضلا عن ذلك يوظف مصطلح "الدّليل" ليعبر به عن العبارة وأمارة.

وفي سياق حديثه عن الاستدلال والدّلالة، يقول: "الدّلالة ما يمكن الاستدلال به، والاستدلال فعل المستّدل، ولو كان الاستدلال والدّلالة سواء لكان يجب أن لو صنع جميع المكلّفين للاستدلال على حدث العالم ألا يكون في العالم دلالة على ذلك." (العسكري، د ت، 70) فالاستدلال لا تتحقق فاعليّته إلّا بتوفّر الدّلالة التّي تعمل على توجيه العمليّة الاستدلاليّة، وهو في الوقت ذاته وظيفة طالب الدّليل؛ وإن اعتقد أحدهم بالمساواة بين الاستدلال والدّلالة لما كان من الضّروري وجود الدّلالة كوسيلة للاستدلال، ولكن الأمر يتجاوز ذلك إلى حاجة المكلفين إلى الدلالة التّي تقيم الحجة على وجود العالم.

وفي معاجم المصطلحات العلميّة نلحظ أنّ كلّا من (الشّريف الجرجاني) و(التّهانوي) في معجميهما يوضّحان معنى الاستدلال؛ فأمّا الأوّل، فيعرّفه قائلا: "تقرير الدّليل لإثبات المدلول سواء كان ذلك من الأثر إلى المؤثّر فيسمى استدلالا آنيّا. أو العكس فيسمّى استدلالا لميّا أو من أحد الأثرين إلى الآخر." (الجرجاني، 1985، 17) وأمّا الآخر، فيعرّفه كالآتي: "في اللّغة طلب الدّليل، وفي عرف الأصوليّين يطلق على إقامة الدّليل مطلقا من نصّ أو إجماع أو غيرهما، على نوع خاص منه أيضا، فقيل هو ما ليس بنصّ ولا إجماع ولا قيّاس، ولا يتوهّم أنّ هذا التّعريف بالمساوي في الجلاء والخفاء بسبب كونه تعريف بعض أنواع منه ببعض، بل ذلك تعريف للمجهول بالمعلوم." (التهانوي، 1996، 151).

انطلاقا مما سيق حول المعنى اللّغوي لمصطلح "الاستدلال" نستنتج أنّ: الاستدلال هو استقصاء وتتبّع الأدلّة من أجل الوصول إلى

المجهول أو المسكوت عنه في الكلام، فضلا عن ذلك نجده محور عديد العلوم، مثل المنطق كما أشار إلى ذلك (الشّريف الجرجاني) في تعريفه السّالف الذّكر، وعلم الأصول كما نجده عند (التّهانوي)، هذا وقد استحوذ على فروع معرفية حديثة بل ومعاصرة، مثل التّداولية والعلوم الإدراكيّة.

وبما أنّ الحديث قد انطلق من المفهوم اللّغوي لمادة (د ل ل)؛ ليصل إلى نتيجة مفادها أنّ الاستدلال، هو طلب الدّليل للوصول إلى ما أضمر من الكلام والبرهنة على مقاصد المتكلّمين، يتوجّب علينا الوقوف عند العلاقة القائمة بين المعاني اللّغويّة السّالفة لـ (د ل ل) ومصطلح التّداوليّة، التّي تعني: "دراسة العلاقات بين الصيّغ اللّغوية ومستخدمي هذه الصيّغ." (يول، 2010، 20) وذلك بوساطة البحث عن مقاصد المتكلّمين وما تحمله خطاباتهم من معانٍ مباشرة كانت أو غير مباشرة، ومدى استيعاب المتلقّين لها وتجاوبهم معها قبولا أو رفضا. وبمعنى آخر تحاول التداوليّة الإجابة عن أسئلة عدّة؛ منها ما يتعلق بالمتحاورين أنفسهم (من يتكلّم وإلى من يتكلّم؟)، ومنها ما يتعلق بالخطاب (ماذا نقول بالضبط حين نتكلم؟)، ومنها ما يتعلّق بظروف الإنتاج (ما مصدر التّشويش والإيضاح؟ وكيف نتكلّم بشيء ونريد قول شيء آخر؟). (أرمينكو، 1987، 8، 9) وللإجابة عنها ينبغي تفعيل العمليات الاستدلاليّة باستحضار كل ما يسهم في حل مغاليق العبارات؛ لأن التداولية تمكّن من التعرّف على مقاصد المتكلّمين، وافتراضاتهم، وأهدافهم، وكذا أنواع الأفعال التّي يؤدونها أثناء تكلّمهم وفي مختلف اتصالاتهم. (يول، 2010، 20) ولا يتم ذلك إلا إذا توفّرت الأدّلة التّي من شأنها أن تسهم في عمليّة التّواصل، وبالتّالي فإن التّداولية تتحكّم في سيران العمليّات الاستدلاليّة الخاصّة بكلّ ما يتّم تلفّظه من قبل مستخدمي اللّغة.

وهكذا، تغدو علاقة التّداوليّة بالاستدلال (مادة د ل ل) علاقة عام بخاص؛ ومرد ذلك إلى كون التداوليّة تساعدنا على تكييف الأدلّة مع ما تتطلّبه قضاياها من أجل تفسير الظّواهر اللّغويّة، لاسيّما وأنّ المتكلمين يتفاوتون في إدراكاتهم لما يقال، فتعمل على ضبط مقاصدهم.

والملاحظ أنّ التّعريف الاصطلاحي للاستدلال لا يبتعد كثيرا عن العرف اللّغوي، وهذا ما سنتطرّق إليه في المحطّة القادمة.

ب. اصطلاحا: الاستدلال (Inférence):"سنطلق اسم استدلال على أيّ جُمَيْلَةٍ مضمرة يمكن استخلاصها من القول واستنتاجها من محتواه الحرفي عبر التّوفيق بين معلومات ذات وضع متغيّر (من داخل القول وخارجه)" (أوريكيوني، 2008، 46) بمعنى؛ العبارات في أغلب أحوالها لا تدلّ على المعنى الظّاهر، وإنّما تحمل معانٍ خفيّة لا يتمّ الوصول إليها بمعزل عن العمليّات الاستدلاليّة التّي يقوم بها متلقي الرّسالة، وطريق الاستدلال هو مجموع القرائن اللّغوية والقرائن السيّاقيّة التّي تعدّ بمنزلة دلائل يستدلّ بها على المضمر أو المقصود من الكلام. وهذا ما تبيّنه (أوريكيوني Orecchioni) من خلال التّفصيل في فحوى مصطلح "الاستدلال" قائلة: "تشير كلمة "استدلال" (Inférence) بالتّالي إلى إحدى وحدات المحتوى، وليس إلى مجموعة الإجراءات التّي تفضي إليه. ونلاحظ حتّى في مضمار المنطق، وجود هذا الانزلاق المجازي المرسل الذّي يصيب بمماثلة مصطلحات من مثل "فعل القول" و"الافتراضيّة". (ونستطيع هنا أيضا أن نضع الافتراضيّة في مقابل المحتوى الافتراضي) ... إلخ." (أوريكيوني، 2008، 46 الهامش)

وهكذا، فإنّ الاستدلال عملية شاملة تهدف إلى الكشف عن كلّ ما هو مضمر، إذ لا يمثّل فعل القول أو الافتراض؛ وإنّما هو عبارة عن إجراء يتمّ من خلاله التحقّق من الملفوظ والولوج إلى عالمه.

2. الممارسة الاستدلاليّة:

أضحى من الضّروري الإشارة إلى أنّ العلامة اللّغوية أو الخطابات الكلاميّة المطوّلة أو غيرها من الملفوظات، بحاجة إلى مقاربات تأويليّة أو ممارسات استدلاليّة؛ فالمتكلّم: يحتاج أثناء كلّ عمليّة تواصليّة ملفوظة – على وجه الخصوص- إلى مستمع يتوخّى الحذر في إدراك العلامات بنوعيها اللّغوية منها وغير اللّغويّة واستيعابها والأخذ بما تتضمّنه من معانٍ، وفي الوقت ذاته يتوجب عليه أيضا تمثّل كلام البّاث وفحوى الرّسالة، والتّمييز بين الأبعاد التّركيبيّة والأبعاد الوظيفيّة للعلامة بنوعيها (حمو الحاج، 2014، 160 الهامش) ففي هذا الكلام تصريح بوظيفتي كلّ من ركني العمليّة التواصليّة أو التّخاطبيّة؛ إذ ينحصر دور المرسل في تمثّل ما سيقوله مع وجوب إدراك حالة المستمع ومدى استيعابه لفحوى ما يستمع إليه من أجل الوصول إلى المعنى المطلوب أو المحقّق، في حين يغدو عمل المتلقّي أو المستمع منحصرا في طلب الدّليل للوصول إلى ما يصبو المتكلّم إليه.

وإذا ألقينا نظرة متفحصة على وظيفة المرسل إليه المتمثّلة في طلب الدّليل؛ فإنّنا نجد أنّ طلب الدّليل مفهوم مرتبط أشدّ الارتباط بالممارسة الاستدلاليّة، التّي عرفتها علوم عدّة منها: علم المنطق، وعلم الأصول، وأصول النحو. وكعمل التّداوليّة الذي صرّح به صحراوي: (صحراوي، د ت، 27 - 28)

- إزالة اللّبس والغموض عن عناصر العمليّة التّخاطبيّة.
- شرح طرائق الاستدلال، ومعالجة الملفوظات وتأويلها، لذلك نلحظ أنّ التّداولية تغترف من رافدين: أحدهما معرفي؛ ويتمثل فيما يقدمه علم النفس المعرفي من: استدلالات، واعتقادات ونوايا، والآخر تواصليّ؛ يتمثل في معرفة: أغراض المتكلّمين واهتماماتهم، ورغباتهم.
- الرّبط بين علم اللّغة وعلم التّواصل؛ من خلال دراسة الوجوه الاستدلاليّة المختلفة والمتعدّدة للتّواصل الشّفوي.

وهكذا، فإنّ الممارسة الاستدلاليّة هي عمليّة تصبو نحو الكشف عن المسكوت عنه، وهي في الآن نفسه نتاج آليات تداوليّة يوظّفها المتلقّي للوصول إلى المعنى المقصود. وقد تسهم في الكشف عن المضمر من الخطاب، فتكون هناك عمليّة تفاعل بين الخطاب والمتلقّي من جهة وبين الخطاب والعالم الخارجي من جهة أخرى، وقد يحدث العكس، فينجم عن ذلك ثنائيتي: التّفاعل والتّطويع.

3. التفاعل والتطويع:

أ. التفاعل: "التّفاعل" أو "الدّيناميّة" من أهمّ المصطلحات التّي اقترن وجودها بـ "الجهاز التّواصلي" أو "أركان العمليّة التّواصليّة" المتمثّلة في: المتكلّم، والمخاطَب، والنّص أو الخطاب، والسيّاق، والسَّنَن، والقناة"،

وهي العناصر التّي وضعها (رومان جاكبسون)(R. Jakobson)، ولا يخفى علينا أن عصب العمليّة التّواصليّة يكمن في التّفاعل بين الأركان السّالفة الذّكر من جهة؛ ولأنّ اللغة ليست مادة مجهولة، لأنها موجودة بالقوة في أذهان متكلمها، وتصرّفاتهم، وأقوالهم... حُوّلت بفعل تلكم الممارسات إلى نشاط واستعمال عندما جسّدت مفهوم الخطاب. والنّص النّاتج لم يبق مجرد توالٍ لجملة من الدّوال على خط أفقي، عديمة الصّلة بسياقات إنتاجها؛ بل ملكة مميّزة موثوقة الوصال بملابسات إنتاجها من جهة أخرى. (حمو الحاج، 2014، 159 الهامش) وهذا يعني أنّ التفاعل، هو: "علاقة المرسل بمتلقّيه، سواءً أكان ذلك المتلقّي فردا أو جماعة، موجودا بالفعل أو بالقوّة ومن شأن هذه العلاقة أن تسلب السّلطة المطلقة من المرسل على إصدار خطابه بعجرفة أو لا مبالاة نحو الآخرين، وأن تدخله في دائرة القواعد الضّمنيّة أو العلانيّة، وأن تجعله يكيّف خطابه على قدر عقل متلقّيه ليحصل التّفاعل وكسب استمالة المتلقّي ونيل رضاه."(مفتاح، 1990، 50، 51)

فحوى هذا التّعريف نختصره في النّقاط الآتية:

- العلاقة بين المتحاورين أساسها الأفعال وردود الأفعال.
- إنّ تلك العلاقة تفرض على المرسل أن يكيّف خطابه مع التمثّلات الذّهنيّة والإدراكيّة للمتلقّي أو المتلقّين.
- إن الشّرطين السّالفي الذّكر؛ وجود ردود الأفعال مع مراعاة الحالة النّفسية والذّهنية للمتلقين يؤدّيان إلى التّفاعل ومن ثمّ نجاح العمليّة التواصليّة، وإن تعدّدت أساليب المخاطبة. وبناءً عليه: يتمّ التّفاعل بين المتحاورين من خلال الاستناد إلى مبدأين مهمّين، هما: مقصديّة المرسل، ومقبوليّة المخاطَب أو المتلقّي، وفي هذا الصّدّد يصنّف (محمد مفتاح) المقصديّة إلى أنواع عدّة، منها: (مفتاح، 1990، 83)
- مقصديّة المنتج والمتلقي الحاضرين اللّذين بينهما ميثاق متراضى عليه يحتوي على حقوق وواجبات.
- مقصديّة المنتج المضمرة التّي يحاول المتلقّي المعاصر له وسع جهده استكشافها بناءً على قرائن لفظية وقرائن معنوية، وقد يوفّق بعض التّوفيق، وقد يخيب مسعاه، ولكن تأويله –في نهاية المطاف- هو نتيجة لمقصديّته.
- مقصديّة المنتج المعلنة الذّي يحاول المتلقي الذّي ليس بمعاصر أن يفهمها ويتأوّلها.
- مقصديّة المنتج المضمرة الذّي يسعى المتلقي -الذّي ليس بمعاصر له- أن يستخرج حساب تأويلها، ولكن مهمّته –حينئذ- عسيرة جدّا.

يتبيّن من خلال ما سبق أنّ التّفاعل بين المتحاورين يختلف باختلاف مقصد المتكلّم من خطابه، فيغدو – التّفاعل- بذلك درجات متفاوتة؛ ما يجعل المتلقي يُخضع ما يتلقاه إلى مدركاته وموقعه الاجتماعي والثّقافي. وهذا يحيلنا بالضّرورة إلى التّطويع الذّي سنقف عنده في العنصر الموالي.

ب. التّطويع: والمقصود به محاولة إخضاع النّص الأدبي إلى ما تفرضه متطلّبات المناهج النقديّة الحديثة والمعاصرة، فضلا عن الآليات المستوحاة من رحم الفروع المعرفيّة على اختلاف توجّهاتها. ومن أهم الفروع المعرفيّة التّي تحتوي على آليات متعدّدة التّداولية؛ فقد تسهم آلياتها في إقامة العمليةّ التّفاعلية، أو تثبّط تلكم العمليّة، فيلجأ المخاطب إلى عمليّة التّطويع.

ثانيّا: الممارسة الاستدلالية سبيل الكشف عن المسكوت عنه

ارتبط الوصول إلى المضمر في الخطاب أو المسكوت عنه بطلب الدّليل الذّي قد يكون عبارة عن مجموعة من القرائن اللّغوية أو غير اللّغوية، وهو ما يصطلح عليه بـ"الممارسة الاستدلاليّة" الملازمة للتّداولية وقضاياها؛ إذ إنّ قضايا التّداوليّة في مجملها تُعالج من طرف المتلقي الذّي يعمل على البحث في خبايا الكلام ومكنوناته، واستبطان خفاياه استنادا إلى مجموعة من العمليّات الاستدلاليّة. فهذه القضايا يمكن أن نطلق عليها مصطلح "الآليات الاستدلالية" أو "آليات الاستدلال التّداولي"، والتّي يمكن إجمالها في: "الافتراض المسبق"، و"الاقتضاء التّخاطبي"، و"الفعل الكلامي والاستلزام الحواري".

1. الافتراض المسبق (Presupposition):

مصطلح "الافتراض المسبق" يدل على "شيء يفترضه المتكلّم يسبق التفوّه بالكلام أي أنّ الافتراض المسبق موجود عند المتكلمين، وليس في الجمل." (يول، 2010، 51) وهذا يدلّ على أنّ الافتراض المسبق موجود في أذهان المتحاورين ويتحقّق بفعل عنصر السّياق بنوعيه ما يساعد على الوصول إلى المضمر من الخطاب، الأمر الذّي يمنح العمليّة التواصليّة الدّينامية والحركيّة؛ وفي هذا الصّدد نجد (أوريكيوني)، تقول: "أي فائدة ترتجى من الافتراضات في الدّيناميكية الخطابيّة، إذا ما كانت تنتهك جهارا قانون الإخباريّة؟ ويتلخّص الجواب على هذا السّؤال على الشّكل الآتي: أولا: إنّها تشكّل بالنّسبة إلى الخطاب نوعا من أنواع قواعد البناء التّي تبنى عليها المحتويات المقررة؛ وثانيا، إنّها تؤمّن، بفضل " الغطاء الافتراضي" تماسك الخطاب وإطنابه الدّاخليين، في حين تتكفّل المحتويات المقرّرة "بتدرّجه"، وثالثا، إنّها تكوّن على مستوى تفاعلي أوسع، نوعا من اللّحمة الاجتماعيّة (Ciment Social)، أي منطقة من "التّوافق" بين المتكلّمين المتفاعلين" (أوريكيوني، 2008، 57) ومن هذا المنطلق تغدو مهمة الافتراضات ملخّصة في:

- قاعدة من قواعد بناء الخطاب؛ وهذا يعني أنّ الافتراضات تقديرية أو ذهنية توجد في اللّغة لا في الكلام، ما يجعل الخطاب بحاجة ماسة إلى التّأويل، والوصول إلى المحتوى أو الضّمني من الكلام.
- تماسك الخطاب؛ تعمل الافتراضات على تماسك الخطاب وتواشجه من خلال الرّبط بين الفضاءات الذّهنيّة والعالم الخارجي للخطاب.
- التّفاعل؛ وهو نتيجة لما سبق ذكره، إذ إنّ الافتراضات التّي تعمل على تماسك الخطاب وانسجامه بحاجة إلى الممارسة الاستدلاليّة من أجل استبطان الخطاب، وما يضمره المتكلّم، وهذا يؤدي بالضّرورة إلى التّفاعل بين عناصر العمليّة التّواصليّة.

والملاحظ أنّ الافتراض المسبق راجع إلى أسباب عديدة، يجمعها كلّ من عاصم شحاتة علي وعثمان جميل قاسم الكنغ فيما يندرج ضمن عدم تصريح المتكلم ببعض مقدّمات الخطاب معتمدا على مدركات المستمع الذّي يكون الافتراض معلوما بينهما في الكثير من الأحيان، ولكن هناك من الأسباب التّي تدفع المتكلّم إلى بناء افتراضات، وهي (علي والكنغ، 2015، 45، 46):

- الاحتراز من التّطويل؛ لأنّ الاستطراد في الكلام وعرض المزيد من التّفاصيل من شأنه أن يجلب السّآمة والملل في نفس المستمع، ولاسيّما إذا كانت تلك التّفاصيل ممّا يمكن إضماره لعلم السّامع المسبق به.
- القصد إلى الإيجاز؛ لما له من أثر بالغ في نفس المستمع؛ ففي بعض الأحيان قد يكون الإيجاز في الكلام والكناية أقرب إلى المقصود ممّا لو عمد المتكلّم إلى بسط تفاصيله.
- مشاركة المستمع؛ فالافتراضات المسبقة كثيرا ما تكون مشتركة بين المتحاورين، ولذلك فإنّ إضمار بعض الخطاب وترك أمر تقدير ما حذف للمتلقي، يؤدّي إلى المشاركة الفعليّة في بناء مقصديّة الخطاب.
- العلم بالضّرورة بالمضمر؛ لا يذكر المتكلّم في بعض الأحيان في خطابه إلّا ما قد يحتاج السّامع إلى معرفته معتمدا عليه في استحضار المحذوف، وذلك بسبب وضوح المحذوف وشهرته، فلا حاجة إلى ذكره.

2. الفعل الكلامي (Speech act) والاستلزام الحواري (Conventional Implicature):

أ. الفعل الكلامي: يعرّف مسعود صحراوي "الفعل الكلامي" قائلا: "الفعل الكلامي يعني: التصرّف (أو العمل!) الاجتماعي أو المؤسّساتي الذّي ينجزه الإنسان بالكلام، ومن ثمّ فـ (الفعل الكلامي) يراد به الإنجاز الذّي يؤدّيه المتكلّم بمجرّد تلفّظه بملفوظات معيّنة، ومن أمثلته: الأمر، والنهي، والوعد، والسّؤال، والتّعيين، والإقالة، والتعزيّة، والتّهنئة، ... فهذه كلها أفعال كلاميّة." (صحراوي، د ت، 10) وها هنا قد خص الفعل الكلامي بملفوظات معينة يقصد من خلالها المتكلّم إنجاز شيء ما، قد يكون من قبيل الأمر، والنّهي، والإنذار، والسّخرية... ويستطرد (صحراوي) قائلا: "ويصحّ أن تعدّ تلك المعاني والمقاصد التّواصليّة "أفعالا كلاميّة" في منظورنا باعتبار أننا لا ننظر إليها على أنّها مجرّد "دلالات" و"مضامين" لغويّة، وإنّما هي فوق ذلك "إنجازات وأغراض تواصليّة" ترمي إلى صناعة أفعال ومواقف اجتماعيّة أو مؤسّساتيّة أو فرديّة بالكلمات، والتأثير في المخاطب: بحمله على فعل أو تركه أو دعوته إلى ذلك، أو تقرير حكم من الأحكام، أو توكيده أو التّشكيك فيه أو نفيه، أو وعد المتكلّم للمخاطَب، أو وعيده أو سؤاله واستخباره عن شيء، أو إبرام عقد من العقود، أو فسخه، أو مجرّد الإفصاح عن حالة نفسيّة معيّنة... إلخ." (صحراوي، د ت،11)

وهكذا، فإنّ مثل هذه الأفعال تكون نتاج مجموعة من المواقف الفرديّة أو الاجتماعيّة؛ ولذلك فإنّ: النّاس عند محاولة التّعبير عن حاجيّاتهم، فإنّهم لا يتلفّظون بكلمات وعبارات فحسب؛ بل إنّهم ينجزون أفعالا كلاميّة عبر تلكم الكلمات أو العبارات. (يول، 2010، 81) التّي تحتاج من المتكلّم والمستمع على حدّ السّواء اللّجوء إلى الظّروف المحيطة باللّفظ، أو ما يعرف بـ"مقام الكلام" (Speech events) الذّي كثيرا ما يسهم في تفسير اللّفظ على أنّه إنجاز لفعل كلامي معيّن. (يول، 2010، 82) فضلا عن ذلك يرى يول أنّه: في حال توفّر العلاقة المباشرة بين البنية والوظيفة ينتج الفعل الكلامي المباشر (Direct Speech Act). في حين إذا انعدمت تلك العلاقة؛ أي وجود علاقة غير مباشرة بن البنية والوظيفة، ينتج لزاما الفعل الكلام غير المباشر (Indirect Speech Act) (يول، 2010، 92).

ب. الاستلزام الحواري: "الاستلزام الحواري" مصطلح أرسى معالمه (بول غرايس)، منطلقا من نقطة رئيسة مفادها أنّ العبارة قد لا تدلّ على المعنى الصّريح، وإنّما قد تتجاوز التّصريح إلى التلميح؛ بمعنى أنّها تدلّ على المعنى الضمني أو المستلزم، وهذا الأمر مرتبط بمقصد المتكلّم الذّي كثيرا ما ينحو منحى الإضمار في القول لينتج المعنى غير المباشر، والملاحظ أنّ الإضمار هو السّمة الجوهرية للعمليّة التّواصليّة - كما يرى (غرايس)- فقد أوضح أنّ الفهم والإدراك الجيّدين للملفوظات وتأويلها تأويلا ملائما لمقصد المتكلّم، لا يعتمد بالضّرورة على الدّلالة الطّبيعيّة التّواضعية (المعنى الصّريح). مؤسّسا حكمه على ملاحظة استحوذت على اهتمامه، وهي دلالة الفعل (To mean) في الإنجليزية؛ الذّي يرد بمعنى (دلّ) مرّة، وبمعنى (أشار) مرّة أخرى. واستنادا إلى حكمه عمل على التّمييز بين نوعين من الدّلالة، هما: الدّلالة الطّبيعيّة الوضعيّة، والدّلالة غير الطّبيعيّة؛ فأمّا الأولى فتتمثّل في أنّ الكلمات في الدّلالة الطبيعيّة تدلّ على ما وضعت له في أصل اللّغة، وبعبارة أخرى تشير إلى المعنى الصريح للعبارة دون الحاجة إلى طلب الدّليل من أجل تأويله، أي إنّها عبارة عن المحتوى القضوي للجملة في قوّتها الإنجازيّة الحرفيّة. وأمّا الأخرى - الدّلالة غير الطّبيعيّة- فتعنى المعنى الضّمني أو المستلزم؛ إذ إنّ تأويل العبارات والملفوظات لا يتوقّف عند حدود الدّلالة اللّغويّة التّواضعيّة للكلمات، وإنّما يعتمد على مقصد المتكلّم ونواياه من ناحية، وعلى مدى فهم المتلقّي لهذه المقاصد من ناحيّة ثانية. دون أن نهمل دور سيّاق الكلام وقرائن الأحوال من جهة أخيرة، لأنّها تمثّل الأدلّة المسهمة في الكشف عن المسكوت عنه، ومن ثمّ فإنّ فهم الملفوظ وتأويله، لا يمكن أن يكتمل دون محاولة المخاطَب بناء استدلال منطقي مقبول. (ختام، 2016، 99، 100).

الشكل (01) :مخطط يوضح أنواع الدلالة وفق مذهب غرايس (ختام، 2016، 100)

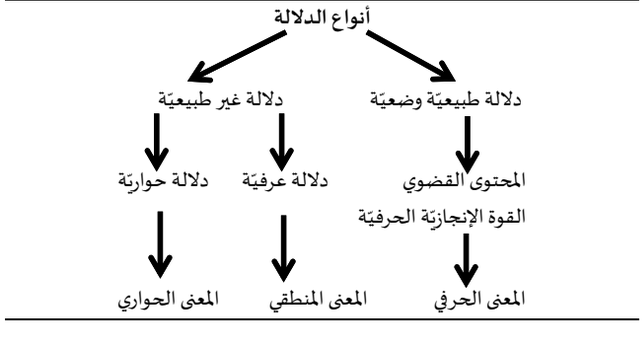

وبالاستناد إلى توجّه (غرايس) نلحظ أنّ: نظرية الملاءمة لـ(ديدري ولسن ودان سبيربر Sperber & Wilson) تقرّ أنّ التّواصل كما يوضّحه (إنس أدرنتي) عبارة عن: عمليّة تداوليّة استدلاليّة، يحتلّ فيها استبطان مقصد المتكلّم واكتشافه موقعا محوريّا في العمليّة التّواصليّة، ولهذا نجد صاحبي النّظريّة يقترحان نموذجا إشاريّا استدلاليا (Ostensive-Inferential Model) للتّواصل البشري، والذّي يقدّم المتكلّم بموجبه منطوقا معينا يكون بمنزلة الدّليل على مقصده لإيصال المعنى المراد، وفي الآن نفسه يفهم المتلقّي أو المستمع معنى المتكلّم ويدركه عبر عمليّة إنتاج سلسلة من الاستدلالات التّي يحكمها هذا الدّليل؛ وبالتّالي فإنّ هذه العمليّة التّواصلية يشترك فيها مقصدان: أوّلهما إخباري (مقصد إخباري Informative Intention)، والآخر تواصلي (مقصد تواصلي Communicative Intention)، ينوي من خلاله المتكلّم إيصال مقصده التّواصلي (المثيرات الإشاريّة التّي يجب أن تؤدي بانتباه المستقبلين إلى مقصد المتكلّم) (أدرنتي، 2016، 53، 54).

ولا يخفى علينا أنّ أيّ محتوى قولي يحتوي على بنية عميقة يتكون من مكوّنين، هما: "المحتوى الجميلي والقيمة الكلاميّة المنطوقة، إذ يعدّ المحتوى الجميلي بنية مجردة نستطيع تمثيلها باعتبارها موضوع الكلام أو مسندا إليه، أو أفضل من ذلك، باعتبارها دالّة على ذات براهين متنوّعة، في حين يتم تحديد المقوّم الكلامي المنطوق (أو " المتضمّن في القول") باعتباره ما يمكّن القول من تأديّة فعل الكلام المعيّن هذا أو ذاك (أمّا من وجهة نظرنا فينبغي دائما أن نفصل قيمة القول الكلاميّة المنطوقة عن قوّته الكلاميّة المنطوقة، إذ قد يكون الفعل نفسه ذو القيمة نفسها بالتالي، كالالتماس مثلا مزوّدة بقيمة جد متغيّرة" (أوريكيوني، 2008، 123) وهذا يعني أنّ قيمة القول الكلاميّة المنطوقة تختلف عن القوّة الكلاميّة المنطوقة التّي من شأنها أن تحدّد المتضمن في القول أو المعنى المستلزم منه.

ثالثا: الافتراض المسبق في الخطاب الشّعري

وستحاول هذه الدّراسة الإحاطة بالافتراض المسبق في الخطاب الشعري وبالتحديد خطاب البرغوثي؛ لأنه كغيره من النّصوص والملفوظات قابل لمقاربته وفق آليات لسانيّة حديثة ومعاصرة، فقد أصبح تأويله يضارع تأويل الملفوظ، لأنّ: "تحليل الملفوظ يضارع تماما تحليل الخطاب. وتحري الانسجام والكشف عنه في الملفوظ يوازي تماما ما يحدث مع الخطاب." (الناجح، 2015، 91) والمدقّق في هذا الحكم يجده حكما صائبا، إذ الآليات ذاتها سواءً أطبّقت على الخطاب أو الملفوظ، ويبقى الاختلاف الوحيد في إمكانية مقاربة كل منهما وفق تلكم الآليات المتّبعة؛ إذ: "إنّ السّجال بين اللّسانيّات التلفّظيّة واللّسانيات الخطابيّة. لو أمعنّا النّظر لوجدناه في الحقيقة، سجالا على المصطلح فحسب في أغلبه، وإن تعدّدت آليات كلّ فرع منها في مستوى المعالجة في موضوع الاختبار سواءً أكان ملفوظا أم خطابا فإنّ الآلية واحدة، والمقصد أوحد ألا وهو المعنى وانسجامه "Cohérence"." (الناجح، 2015، 91) وتتبّع مدى تحقّقه في الخطاب على اختلاف أنواعه.

وإذا ألقينا نظرة متفحّصة على أيّ خطاب نجده يعالج من ناحيّتين، هما: الشّكلية أو اللّسانيّة، والمضمون أو المحتوى (خطاب فلسفي، وخطاب ديني، وخطاب تقدّمي، وخطاب أدبي...إلخ). (الناجح، 2015، 91، 92) فقد تحوي كلتا الناحيتين إضمارا يروم القارئ الكشف عنه من خلال القيّام بجملة من الاستدلالات للوصول إلى المسكوت عنه.

وفي هذه المحطّة سنحاول الولوج إلى مضمرات الخطاب الشّعري من خلال القيّام بالعمليّات الاستدلاليّة **استنادا إلى الافتراض المسبق**، ومحاولة إسقاط أنواعه على قصيدة "في القدس"، وفي هذا الصدد: هل يمكن الحديث عن الافتراض المسبق وإمكانيّة تطبيقه على النّص الشّعريّ، ليتحقق بذلك التفاعل بين الخطاب والعالم الخارجي؟

1. مضمرات القول في الخطاب الشّعري وسبل الاستدلال

إنّ المتتبّع لقصيدة (البرغوثي) الموسومة بـ"في القدس" (البرغوثي، 2015، 7-12)، يلحظ أنّها منظومة وفق نمطين أحدهما خليلي (عمودي)، الآخر محدث (تفعيلة)، زاوج بينهما الشّاعر لينتقل من تصوير الماضي إلى رصد الحاضر، وهذا ما سنستشفّه من قراءتنا للقصيدة واستبطان مضمراتها. والبداية ستكون مع مطلع القصيدة التّي يقول فيها (البرغوثي، 2015، 7):

مَرَرْنَا عَلَى دَارِ الْحَبِيبِ، فَرَدَّنَا	عَنِ الدَّارِ قَانُونُ الْأَعَادِي وَسُورُهَا
فَقُلْتُ لِنَفْسِي رُبَّمَا هِيَ نِعْمَةٌ	فَمَاذَا تَرَى فِي الْقُدْسِ حِينَ
تَرَى كُلَّ مَا لَا تَسْتَطِيعُ	إِذَا مَا بَدَتْ مِنْ جَانِبِ الدَّرْبِ
وَمَا كُلُّ نَفْسٍ حِينَ تَلْقَى	تُسَرُّ وَلَا كُلُّ الْغِيَابِ يُضِيرُهَا
فَإِنْ سَرَّهَا قَبْلَ الْفِرَاقِ لِقَاؤُهُ	فَلَيْسَ بِمَأْمُونٍ عَلَيْهَا سُرُورُهَا

(البرغوثي، 2015، 7)

إنّ المدقّق في هذه الأبيات يجدها تحمل مونولوجا -حوارا داخليّا بين الشّاعر ونفسه-؛ فالبرغوثي يحاول أن يخفف على نفسه هول الأزمة التّي تعيشها القدس، فضلا عن صدمة المنع من دخولها، وذلك من خلال عرضه ما آلت إليه قدسه، فحاضرها بات مؤلما، عكس ماضيها المشّع ليس هذا فحسب؛ وإنّما عدّ المنع من زيارتها نعمة، لأنّ كلّ ما فيها لا يحتمله قلب ولا تسرّ به عين. وكأنّ الشّاعر بصدد جمع حطام نفسه بنفسه، وذلك من خلال توظيفه لجملة من الأحداث المتمثّلة في: المرور والمنع والمناجاة، والضّير والفراق، كلّ هذه الأحداث عبارة عن وحدات معجميّة تعكس الحالة النّفسيّة التّي يعيشها البرغوثي.

ولعلّ هذه الأبيات من شأنها أن تكشف عن جملة الافتراضات المسبقة، التّي يمكن إجمالها فيما يلي:

الافتراض الأوّل: مرور الشّاعر بقدسه وعدم التّمكن من زيّارتها، فقوانين المحتلّ حالت دون ذلك.

الافتراض الثاني: مناجاة الشّاعر لنفسه بعد أن منع من زيارة قدسه؛ فالمنع في نظره نعمة لأنّ حاضر القدس كلّه قتل وتشريد، وتدمير.

الافتراض الأخير: فراق القدس وتوديعها؛ إذ إنّ كلّ ما يسرّ النفس ويبهجها قد اغتصب من المحتلين والمستوطنين.

وإذا ألقينا نظرة متفحّصة على هذه الافتراضات، فإنّ مجمل القول حولها سيكون كالآتي:

- إنّ مثل هذه الافتراضات كثيرا ما تكون مطابقة للواقع، أو صادقة: فـ "من المحتمل أنّ من بين الافتراضات التّي ترد على العقل البشري، بصورة أكثر تلقائيّة، تكون الافتراضات الحقيقيّة أكثر احتمالا لأن تكون ذات صلة ومناسبة من الافتراضات الكاذبة، بحيث إنّه حين تتحقّق الصّلة والمناسبة، فإنّها ستزوّدنا بقوّة ارتجاعيّة سليمة بشكل عام." (سبيربر وولسن، 2016، 207، 208) والمقصود بذلك أنّ الافتراضات الحقيقيّة هي تلكم الافتراضات التّي يمكن معالجتها انطلاقا من الحالات الذّهنيّة للمتخاطبين؛ فضلا عن ذلك فإنّ احتواء الكلام على قرائن لغويّة من شأنه أن يدعم أنظمة المدخلات، ومثال ذلك: دار الحبيب (القدس)، وقانون الأعادي (قوانين الاحتلال الإسرائيلي)، والمنع والفراق... فهذه العبارات يعمل المستمع على تحليلها بوساطة إجراء جملة من العمليّات الاستدلاليّة لبناء الافتراضات والوصول إلى المعنى الذّي يصبو إليه المتكلّم، فضلا عن ذلك توصف العبارات- بكونها "مؤشّرات لافتراضات مسبقة كامنة (Potental Présupposition)، والتّي يمكنها أن تصبح افتراضات مسبقة واقعيّة فقط عند وجودها في سيّاقات مع المتكلّمين." (يول، 2010، 54). وهكذا، فإنّ الافتراضات المسبقة الكامنة لا تتحقّق واقعيّتها إلّا بتوفّر السيّاق، وبعبارة أخرى العهد أو العقد بين المتكلّمين، وهذا ما يعكس إجادة الشاعر في عرض الواقع الفلسطيني بجلاء؛ فلا مناص من واقعيّة الافتراضات المسبقة المحقّقة، التّي تعكس مرارة المنع عن الزّيارة، والبعد عن الوطن، فضلا عن تكالب جنود الاحتلال ونيلهم ممّا هو عتيق.
- إضافة إلى ذلك قد يتساءل القارئ: كيف تحوّلت الافتراضات الكامنة إلى افتراضات مسبقة واقعية، نقول: إنّ الافتراضات الكامنة الموجودة في الذّاكرة تتحوّل إلى مخرجات، وذلك من خلال عمليّة الاستحضار التّي يقوم بها المبدع؛ أي يقوم بعملية إخماد للوحدات غير المرغوب بها، وتبنّي وحدات أخرى مترجمة للواقع ومجسّدة له. وهذا ما نلاحظه في المقطع السّالف الذّي استحضر فيه الشّاعر جملة من الوحدات الدّالة، والمتمثّلة في: المرور، والقدس، والمنع، والرّضا، والسّرور، والفراق...، وفي مقابل ذلك أخمد وحدات لغويّة أخرى من قبيل: غزة، والمقاومة، والمقلاع، والجنود...، ومردّ ذلك إلى أنّ الشّاعر في حالة وصف لما عايشه أثناء زيارته للقدس، وهي الحالة ذاتها التّي يعيشها المغتربون عن أراضيهم، لا عرض المقاومة في غزة، لذلك تم توظيف ألفاظ بعينها دون سواها. وهكذا تحققت الافتراضات المسبقة المطابقة للواقع بفعل إخراجها من عالم المدركات. ويمكن تلخيص الآلية الاستدلاليّة للافتراض في المخطط الآتي:

الشكل (02): الآلية الاستدلالية للافتراض المسبق

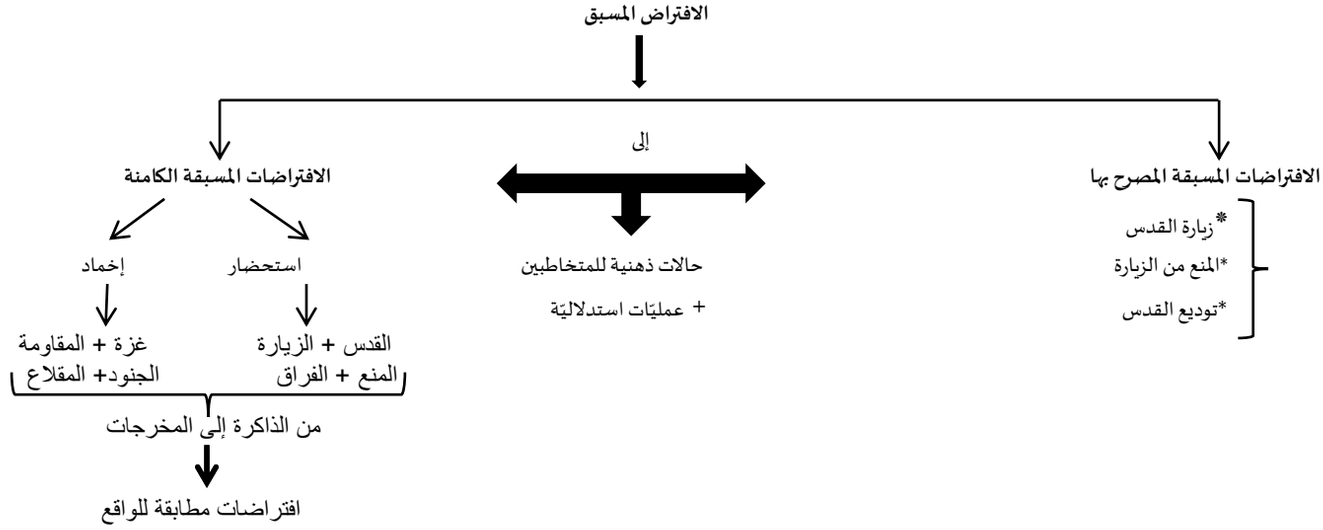

ويبرز وصف الشاعر للاغتراب عن القدس في قوله:

وَهِيَ الْغَزَالَةُ فِي الْمَدَى، حَكَمَ الْزَّمَانُ بِبَيْنِهَا

مَا زِلْتَ تَرْكُضُ إِثْرَهَا مُذْ وَدَّعَتْكَ بِعَيْنِهَا

رِفْقًا بِنَفْسِكَ سَاعَةً إِنِّي أَرَاكَ وَهَنْتْ

فِي الْقُدْسِ مَنْ فِي الْقُدْسِ إِلَّا أَنْتْ

(البرغوثي، 2015، 8)

تعكس هذه الأبيات أسف الشّاعر على وطنه المغتصب، وحزنه على حرمانه من حقّه في العيش والحياة، فهذا الأمر يوقع في نفسه ضجرا وتذمرا؛ ولذلك نجده يصرّ على عروبته من جهة، وعلى عروبة القدس من جهة أخرى، وهذا ما جعله يولّد حديثا بينه وبين التّاريخ الذّي يثبت له صحّة ذلك على الرغم من استيلاء الاحتلال على أرضه. ويمكن ترجمة ما ذهب إليه في مجموعة من الافتراضات سوّغتها الشّراكة بين منتج النّص ومتلقّيه، ومنها:

*الافتراض الأول: فرق الاحتلال بين القدس (الغزالة) ومواطنيها
*الافتراض الثّاني: العودة إلى القدس، ولو كانت محتلّة.
*الافتراض الأخير: القدس موطن الفلسطينيين.

والمتفحّص للافتراضات السّابقة يظهر له أنّها في مجملها تمثّل افتراضات مسبقة وجوديّة، وهذا النّوع يتسم بالاتّساع في الاستعمال؛ لذلك: "لا يفترض وجود الافتراض المسبق الوجودي (Existential Présupposition) في تراكيب التملّك فحسب (مثلا "سيارتك" << " لديك سيّارة")، وإنّما، عموما، في أيّة عبارة اسميّة."(يول، 2010، 54) وبمثّل هذه الافتراضات المسبقة الوجوديّة يتحدّد عامل الاستمرارية في الأحداث؛ إذ الافتراض ها هنا يعبّر عمّا هو غير متوقّف مع استمرارية في الحركيّة والتّفاعل. وهذا ما نلاحظه على الافتراضات السّابقة والتي يمكن أن نترجمها في الشكل الآتي:

الشكل (03) الافتراضات المسبقة الوجودية

العبارة	الافتراض المسبق الوجودي
هي الغزالة في المدى	البعد الجسدي (موجود)
تركض إثرها	السعي إلى زيارة القدس ولو كانت محتلة (موجود)
في القدس إلا أنت	القدس موطن الفلسطينيين الأصليين (موجود)

يتضح من الافتراضات المسبقة الوجوديّة مدى مناسبتها للمرجع؛ إذ بالنظر إلى الافتراض الأول: فرق الاحتلال بين القدس (الغزالة) ومواطنها، نلمح أنّ الشاعر قد عبر عنه بقوله: (وهي الغزالة في المدى)، إذ توجد خلف عمليّة التصوير هذه مجموعة من الحقائق، حاول البرغوثي إيصالها متوسلا التجسيد؛ لأنّه الأقرب إلى ذهن المتلقي والأكثر قدرة على تقريب المعنى المراد إيصاله للآخر، ويبرز ذلك في قوله: (هي الغزالة) فقد شبّه القدس بالغزالة دون غيرها من الكائنات، ليجسّد بوساطتها أمرين؛ علاقة الاحتلال بالقدس من جهة، وعلاقة الشّاعر بالقدس من جهة أخرى، فأما عن العلاقة الأولى النّاتجة عن تشبيه القدس بالغزالة، فتتلخص فيما ترمز إليه الغزالة؛ إذ إنّها رمز للسرعة والصعوبة (عدم التمكن من اصطيادها أو النيل منها)، وإذا ما حاولنا إسقاط هذين الرمزين اللّذين تتسم بهما الغزالة على القدس، نجد أنّ القدس قد حافظت على كلّ ما فيها من ميزات ودلائل على عروبتها، وأن المستعمر لم يتمكن من طمس هويّتها ومعالمها. وأما عن العلاقة الأخرى (علاقة الشاعر بالقدس)؛ فيترجمها الافتراض الثاني: العودة إلى القدس، ولو كانت محتلّة، وهنا يمكن القول: إنّ الغزالة ترمز إلى الجمال والسرعة؛ وبالتالي إذا اسنِدَتْ هاتان الصفتان إلى القدس، فإنهما تعكسان عن عدم قدرة الشاعر على ضبط شوقه اتجاه قدسه، والمتمثل في البعد الجسدي لا الروحي، لأنّ استعمال كل من الألفاظ "البين"، و" الركض"، و" التوديع." تعكس الواقع المعاش؛ فالركض وراء القدس حال دون الإمساك بها، ومرد ذلك قانون المحتل، فكلما سعى البرغوثي إلى الاقتراب من القدس، أخفق. واللافت للانتباه أنّ هذه الألفاظ مطابقة للعالم الخارجي. وبناء عليه: يتوجّب توفّر العنصر المحدّد بالخصائص التّي تتناسب وسمات الجمل والعبارات. (أوريكيوني، 2008، 73) وهذا ما يبرز أيضا في اللفظة الأخيرة، حيث لم يكتف الشاعر بتجسيد حزنه الناتج عن شدة حنينه للقدس؛ بل راح يجسد حزن القدس على أبنائها المغتربين، ويظهر ذلك في قوله: (مذ ودعتك بعينها)؛ فالتصوير في هذه العبارة يعكس حالته النفسيّة، فقد سعى من خلاله إلى التعبير عن الحزن الذي يكتنف القدس (قتل، وتشريد، وهدم للبيوت، وحرق...) والملاحظ على الشاعر أنه استعار لفظة العين لتدل على التوديع بدلا من اليد؛ ولكون التعبير بالعين أبلغ، فإن هذه الصورة قد عكست الحزن المخيّم على الشاعر أيضا، هذا من جهة، وجسدت العلاقة القوية المتينة بين الطرفين: القدس ومغتربوها؛ بمعنى آخر جسدت الرابط الروحي بين الشاعر والقدس. ليس هذا فحسب، وإنما احتواء الكلام وبصفة مخصوصة على: البنى المفصلة التّي تعدّ ضربا من ضروب الافتراضات المسبقة التّي لها علاقة وطيدة بحالة العلاقات التّضمينيّة (أوريكيوني، 2008، 72، 73)، وهذا ما يبيّنه الافتراض الأخير: القدس موطن الفلسطينيّين، وذلك من منطلق التأكيد على أنّ: البرغوثي فلسطيني وهذا يستلزم أنّ القدس وفلسطين موطن الفلسطينيّين؛ فعلى الرغم من الحزن الذّي ينتاب الشاعر نتيجة ما تكابده أرضه من آلام اغتراب أبنائها، ومن تعدد الأجناس البشريّة فيها؛ إلا أنّ هناك شعورا باندماج الذات الشّاعرة في وطنها الجريح، اندماجا تقديريا يشعرها بالانتماء الروحي لوطن مكبّل بقيود الاحتلال، وهذا ما يعكسه الحصر بـ"إلا" الذي هدف من خلاله البرغوثي إلى التأكيد على مكانته وأحقيّته بوطنه، فحتّى لو كان مغتربا عنه فإنّه جزء لا يتجزأ منه، والأمر نفسه بالنسبة لكل فلسطيني مغترب عن أرضه، وكأنّ الشاعر –ها هنا- يعبر عن انصهار القدس في الذات المغتربة عنها حبا وعشقا وكينونة، وبالتالي إزالة كل الحدود الزمانيّة والمكانيّة التي تفصل الشاعر عن وطنه، وهذا ما يزيد الفلسطيني ثباتا وثبوتا في قدسه.

وفي مشهد آخر يحاور الشاعر المؤرخ؛ قائلا:

يَا كَاتِبَ التَّارِيخِ مَهْلًا
فَالْمَدِينَةُ دَهْرُهَا دَهْرَانِ
دَهْرٌ أَجْنَبِيٌّ مُطْمَئِنٌّ لَا يُغَيِّرُ خَطْوَهُ وَكَأَنَّهُ يَمْشِي خِلَالَ النَّوْمْ
وَهُنَاكَ دَهْرٌ كَامِنٌ، مُلَثَّمٌ يَمْشِي بِلَا صَوْتٍ حِذَارَ الْقَوْمْ

(البرغوثي، 2015، 8، 9)

تعكس هذه الأبيات نظرة الإعلام والمؤرّخين (كاتب التّاريخ) لواقع القدس المعاش، وحاضرها المجسّد بالاحتلال الأجنبي في المدينة، فضلا عن الاحتلال الإسرائيلي، مستبعدا الفلسطينيّين بوصفهم سكّانا أصليّين، وها هنا نجد الشّاعر يستوقف كاتب التاريخ، مبيّنا له أنّ القدس كما تحوي المعمّرين؛ فإنّها في الآن نفسه موطن الفلسطينيّين والمرابطين والمغتربين على حدّ السّواء. وهذا يومئ لنا بوجود افتراضات مسبقة يمكن إجمالها فيما يأتي:

*الافتراض الأول: الإعلام يرصد القدس من جانبه الاستيطاني

*الافتراض الثّاني: في القدس تتعدّد الأجناس البشريّة على اختلاف مللها ونحلها.

*الافتراض الأخير: في القدس مرابطون يحرصون على استرجاع دولتهم.

لعلّنا ونحن نحاول الولوج إلى ما تتضمّنه الافتراضات المسبقة، من خلال ضبط نوعها وتحديده بدقّة متناهيّة، نكون بصدد الحديث عن الافتراضات المسبقة المعجميّة (Lexical Présupposition)؛ فلا مناص من أنّ الشّاعر قد وظّفها ليثبت من خلالها المعاني الخفية غير الواردة أو المثبتة في المتن أو العبارة، فإذا توقّفنا عند **الافتراض الأوّل: الإعلام يرصد القدس من جانبه الاستيطاني**، يتّضح جليا أنّ الشّاعر وهو يحاور المؤرخين والإعلاميّين، وظّف اسم فعل الأمر "مهلا" وكأنّ الأحداث قد تماهت وتداخلت إلى أن تمّ الحكم في شأن قدسية فلسطين وعروبتها حكما جائرا ثبّت الأجانب وهمّش السكان الأصليين. وهذا التعتيم في الحكم والتّضليل نأى بالشّاعر إلى أن يضع بطاقة هويّة لفلسطين؛ يبيّن من خلالها الواقع الفلسطيني كما هو مبيّن في الافتراضين الأخيرين، وفي كلّ منهما ملخّص لجمعين متباينين؛ افتراض يصوّر الجانب المظلم المنطفىء من فلسطين وهو الوجود الاستيطاني (**في القدس تتعدّد الأجناس البشريّة على اختلاف مللها ونحلها.**)؛ ومثال ذلك التواجد الكنعاني على أرض القدس، فقد كان الكنعانيون رعاة، واتخذوا من القدس مستقرّا لهم ومقاما. (العارف، د ت، 11) وذلك حينما نزحت القبائل الكنعانيّة من شبه الجزيرة العربيّة نحو بلاد الشّام، فبعضها حط رحله بالقدس، فأصبحت حينئذ تسمى بأرض كنعان، وبعضها الآخر نزل ما بين النهرين، فسميّت عندئذ البقعة التي استقروا بها "بابل". (العارف، 1999، 1) وافتراض آخر يجسد معاناة الفلسطيني في ظلّ الاحتلال الإسرائيلي؛ إذ إنّه في سعي دائم لاسترجاع أرضه (**في القدس مرابطون يحاولون في صمت استرجاع دولتهم**)، ويمكن تبيان الافتراضات المسبقة المعجميّة المتضمّنة في أبيات الشّاعر، وفق مذهب (جورج يول)، الذّي يرى أنه: "في حالة الافتراض المسبق المعجمي، يؤخذ استعمال المتكلّم لتعبير معيّن على أنّه يفترض مسبقا مفهوما آخراً (غير مذكور)." (يول، 2010، 55) وهذا يعني أنّ (البرغوثي) عمد إلى توظيف وحدات معجميّة إيحائيّة تستدعي من الآخر البحث عن المعاني التّي تحملها تلكم الافتراضات، ولعلّ أهمها: (دَهْرُهَا دَهْرَانِ، ودَهْرٌ أَجْنَبِيٌ، ومُطْمَئِنٌ، وكَامِنٌ...إلخ.) ويمكن تبيان اعتماد صيغة بمعناها المؤكّد عادة بالافتراض المسبق أنّ هناك معنى آخر غير مؤكد تمّ فهمه؛ ففي كلّ مرّة تذكر أنّ شخصا ما قد تمكّن من إنجاز شيء ما، يصبح المعنى المؤكد أنّ ذلك الشّخص قد أفلح، والعملية عكسية أثناء الحديث عن شخص ما أنّه لم يتمكّن من إنجاز شيء ما يصبح المعنى المؤكّد أنّ ذلك الشّخص لم ينجح، ولكن يبقى الأمر المتفق عليه هو أنّه في كلتا الحالتين يكون هناك افتراض مسبق غير مؤكّد ينصّ على أن ذلك الشّخص حاول القيّام بعمل معين؛ لذلك يفسر الفعل "تمكّن" عادة عمليّة النّجاح، ويفترض مسبقا الفعل حاول. (يول، 2010، 55) وهذا ما يمكن تلخيصه في المخطط الآتي:

الشكل (04) الافتراضات المسبقة المعجمية

الوحدات اللغوية	المعاني المفهومة غير المؤكدة	المعاني المؤكدة/ افتراضات مسبقة مؤكدة
مَهْلًا، دَهْرُهَا دَهْرَانِ.	الإقرار بأن فلسطين أرض غير عربية	أرض عربية أصيلة ≠ محتلة من قبل المستعمر.
أَجْنَبِيٌ مُطْمَئِنٌ، لَا يُغَيِّرُ خَطْوَهُ	الاحتلال الإسرائيلي سيطر على فلسطين	الاحتلال الإسرائيلي لم يسيطر على أرض فلسطين
دَهْرٌ كَامِنٌ، مُلَثَّمٌ، الْقَوْمُ.	استسلام المرابطين	لازال المرابط يسعى إلى تحرير قدسه وتطهيرها

ولتأكيد هويّة الفلسطيني وقداسة المدينة، ها هو (البرغوثي) يؤكّد ذلك في أبيات امتزج فيها بريق الأمل بالرّضا بقدر الله وحكمه، ويقول:

فِي الْقُدْسِ أَعْمِدَةُ الْرُّخَامِ الْدَّاكِنَاتُ

كَأَنَّ تَعْرِيقَ الرُّخَامِ دُخَانْ

وَنَوَ افِذٌ تَعْلُو الْمَسَاجِدَ وَالْكَنَائِس

أَمْسَكَتْ بِيَدِ الْصَّبَاحِ تُرِيهِ كَيْفَ النَّقْشُ بِالْأَلْوَانِ

وَهْوَ يَقُولُ: (لَا بَلْ هَكَذَا)

فَتَقُولُ: (لَا بَلْ هَكَذَا)

حَتَّى إِذَا مَا طَالَ الْخِلَافُ تَقَاسَمَا

فَالْصُّبْحُ حُرٌّ خَارِجَ الْعَتَبَاتِ، لَكِنْ

إِنْ أَرَادَ دُخُولَهَا

فَعَلَيْهِ أَنْ يَرْضَى بِحُكْمِ نَوَ افِذِ الْرَّحْمَنْ

(البرغوثي، 2015، 10)

يصف الشاعر في هذه الأبيات القدس وصفا تمتزج فيه جودة التصميم بجور الاحتلال الإسرائيلي؛ إذ يلامس بقلمه تخطيط الفنان ليحرّك فكر المتلقي نحو استيعاب جمال القدس العريق من جهة، ويبسط واقعها في ظل احتلال غاشم يهوى تدمير كلّ ما هو جميل، وبين هذا وذاك تبرز مجموعة من الوحدات اللّغويّة، مثل: الأعمدة، والرخام، والمساجد، والكنائس، والداكنات، والألوان...والتي بدورها تزيل اللّثام عن واقع المدينة المرير، وذلك بإبراز الصراع القائم بين الماضي والحاضر، وهذا ما يسعى إليه البرغوثي من خلال لغته الشّاعريّة؛ فقوله: (أعمدة الرخام الداكنات) يلخص أصالة القدس وصعوبة محو معالم هويّتها، وما يثبت صحة ذلك تأكيد قوله بلفظة (الداكنات)، إذ إنّ الأعمدة كلما تقدّمت بها السنون مالت إلى السواد، وهذا يعكس عراقة وأصالة القدس، ثم لا يلبث أن يتحدث عن الضرر الذي ألحق بها جراء الحروب التّي مثلّت نقطة التحول في المدينة، وعلى الرغم من ذلك ظلّت محافظة على أصالتها، والجمع بين التحول والأصالة عُبر عنهما بلفظتي: تعريق ودّخان.

كما يدلّل الشاعر ويبرهن على أنّ فلسطين هي أرض الفلسطينيّين، وأنّ الأجانب ممّن استوطونها، والاحتلال الإسرائيلي ما هو إلا سحابة عابرة أو ابتلاء وسيزول، وبالوقوف عند البراهين التّي ضمّنها البرغوثي أبياته، نجدها تتأرجح بين ماضٍ مجيد، وحاضر مكبّل بقيود الاحتلال وتكالب جنوده. تلكم الدّلائل نلخّصها في الافتراضات التّاليّة:

*الافتراض الأول: في القدس ما يدلّل على قداستها وعروبتها.

*الافتراض الثّاني: تتعدّد المساجد والكنائس في القدس.

*الافتراض الأخير: رغم عروبة القدس وقداستها إلا أنّه ينبغي الرّضا بحكم الله النّافذ.

إنّ أهم ما يستوقفنا ونحن أمام هذه الأبيات قوّة الوصف ودقّة التّجسيد، فلا يغيب عن ذهن المتلقّي أنّ الشّاعر قد أقدم على تصوير القدس ملمحا ملمحا محاولا بذلك إسقاطها في أذهان الآخرين، مراعيًا في ذلك قداسة القدس وأصالة مبانها، مفنّدا مظاهر الاحتلال الإسرائيلي؛ فلا ريب في أنّ كلّ مبنى تمّ تشييده يعكس بقوّة عروبة الفلسطينيّين وقداسة موطنهم وأصالة معتقدهم (الإسلام)، وإذا ألقينا نظرة متفحّصة على الافتراضات السّابقة، نلاحظ أنّها تقع ضمن زمرة الافتراض المسبق الوجودي؛ فالبرغوثي وهو يحاول رصد وتتبّع تفاصيل القدس عمد إلى توظيف حقائق لا يمكن دحضها من المتلقّين على اختلاف فئاتهم وأعمارهم.

واللافت للانتباه أنّ الشّاعر قد ركّز على لفظة الرّخام فكرّرها مرّتين ليعكس من خلالها، كيف كانت القدس قديما وما آلت إليه الآن؛ فبالنسبّة للأولى: (في القدس أعمدة الرّخام)، توحي إلى أنّ هذه الأعمدة المنتشرة في كل مقاطعة من مقاطعات فلسطين والمتحوّل لونها إلى الأسود بفعل أسلحة جنود الاحتلال، قد صنعت من أحجار القدس؛ لأن "حجر القدس من أحسن الحجارة وأجملها وأقواها" (العارف، د ت، 229) وأنّ العاملين على قلع الأحجار وتهذيبها وبنائها عرب. (العارف، د ت، 22) وهذا ما يزيد القدس دلالة على عروبتها، وليثبت البرغوثي عراقة القدس تجاوز الأعمدة إلى ذكر المساجد والكنائس التّي تتجسد من خلالهما كلّ الأمم والحضارات التّي تقادمت على القدس، وبدورها أضحت نوافذهما مراكز للمراقبة وتتبّع للسكّان الأصليّين، وهذا ما يعكس الواقع اليومي المعاش، ويؤكد على استبعاد الفلسطينيّ الذّي يتوجّب عليه الرّضا بحكم الله سبحانه وتعالى، ومن أمثلة المساجد نذكر: المسجد الأقصى، ومسجد الصخرة وجامع باب خان الزيت، وجامع باب حطة... وغيرها. (العارف، د ت، 278) ومن الشواهد على الكنائس نذكر: كنيسة (إليليا) كما يسميها المقدسيون أو (غاليليا) كما يسميها الروم وتوجد هذه الكنيسة في دير الجليل فوق طور الجبل (العارف، د ت، 241) والجسمانيّة، "وهي كنيسة تقع في وادي قدرون عند ملتقى الطرق بين القدس والطور وسلوان" (العارف، د ت، 246) وكنيسة (ستنا مريم) الواقعة "عند مفترق الطرق المؤديّة إلى القدس وسلوان وجبل الزيتون" (العارف، د ت، 251) ...إلخ. وهكذا، حاول الشاعر عرض بعض ملامح قداسة القدس وأصالتها، وهو ما يجسّده الافتراضان الأولان: في القدس ما يدلّل على قداستها وعروبتها، وتتعدّد المساجد والكنائس في القدس. وبالنسبة للثانيّة: (تعريق الرّخام دخان)، فيمثل نقطة التحول؛ حيث إنّه بعد محاولة جنود الاحتلال السيطرة على القدس، باستخدام السبل كلها، من فرض للقوانيّن ومنع للزيارة، وقتل وتشريد للأهالي وتدمير للمنشآت؛ (ارتباط الأمر كله بنظام الاحتلال)، ظلت القدس بكل ما تحمله من منشآت شاهدة على أصالتها؛ فالشاعر باستحضاره للمساجد والكنائس فإنه يختصر واقع القدس من خلالهما؛ حيث مثّل القدس بالمساجد وجنود الاحتلال بالنوافذ والفلسطيني المغترب بالصبح، وتفسير ذلك أنّه إذا بزغ الصبح فإنّ إضاءته لن تتجاوز حدود نوافذ المسجد، والأمر نفسه بالنسبة للفلسطيني الذّي كلما حاول زيارة القدس لن تتجاوز خطواته مدخلها بحكم قوانين المحتل، فيستسلم لإرادة الله. ولعل هذا ما يعكسه الافتراض الأخير: رغم عروبة القدس وقداستها إلا أنّه ينبغي الرّضا بحكم الله النّافذ. ويمكننا التّدليل على كون الافتراضات المسبقة افتراضات وجوديّة من خلال الجدول في الشكل الآتي:

الشكل (05): الافتراضات المسبقة الوجودية

العبارة	الافتراض المسبق الوجودي
أعمدة الرّخام الدّاكنات	تغيّر واقع القدس ممّا كان عليه إلى خراب ودمار (موجود)
المساجد والكنائس	رغم التغير الذّي شهدته القدس جراء الحرب إلا أنها أصيلة عتيقة (موجود)
دخولها – نوافذ الرحمن	منع الفلسطينيّين من دخول قدسهم من قبل جنود الاحتلال (موجود)

وبناءً عليه يتضح أن الافتراضات المسبقة الوجوديّة قد عملت على الإحالة إلى أحداث واقعيّة تعايشها القدس، وهي ما تضمنتها الافتراضات المصرح بها آنفا، ولذلك تفترض العبارات والجمل توافر أغراض تروم الكشف عنها سواء أكان ذلك في العالم الواقعي أم الخيالي الذّي يبيّنه الخطاب. (أوريكيوني، 2008، 73) وهذا ما يجسّده المخطط في الشكل (06).

وتتواصل عمليّة سرد البراهين والأدلة على عروبة القدس من خلال إبراز الشّاعر لمعالم أثريّة، أهمّها المدرسة التّي بناها الظّاهر بيبرس، يقول:

فِي الْقُدْسِ مَدْرَسَةٌ لِمَلْكٍ أَتَى مِمَّا وَرَاءَ النَّهْرِ،

بَاعُوهُ بِسُوقِ نِخَاسَةٍ فِي أَصْفَهَانَ

لِتَاجِرٍ مِنْ أَهْلِ بَغْدَادٍ أَتَى حَلَبًا فَخَافَ أَمِيرُهَا مِنْ زُرْقَةٍ فِي عَيْنِهِ الْيُسْرَى

فَأَعْطَاهُ لِقَافِلَةٍ أَتَتْ مِصْراً، فَأَصْبَحَ بَعْدَ بِضْعِ سِنِينَ غَلَّابَ الْغُولِ

وَصَاحِبَ السُّلْطَانْ

(البرغوثي، 2015، 10)

الشكل (06): مخطط يوضح العلاقة التضمّنية للافتراض المسبق

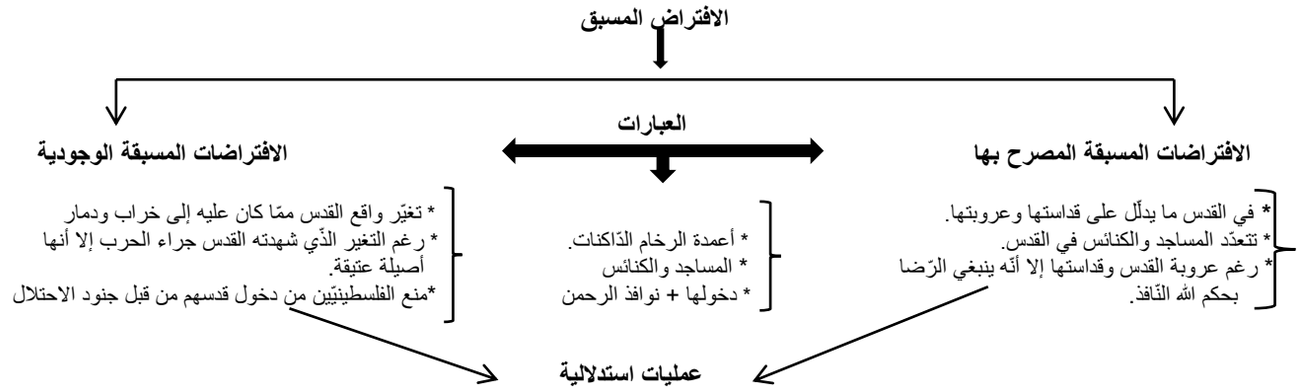

عروبة القدس وقداستها الدينيّة تتحدّث عن نفسها بنفسها من جديد، فهي لا تنحصر في المنشآت الدّينية فحسب؛ وإنّما تتجاوزها إلى معالم تاريخيّة شيّدت ولازالت شاهدة على قداسة فلسطين وعراقتها، ومن هذه المعالم المدرسة التّي بناها الظّاهر بيبرس في القدس. ولعل استحضار مباني شُيّدت في فلسطين يعكس ضجر الشّاعر من الأحكام التعسّفية التّي يصدرها كتّاب التّاريخ إزّاء وطنه، ليس هذا فحسب بل ذهب البرغوثي إلى أبعد من ذلك، إذ حاول أن يربط بين أمرين متباينين زمانيا متّفقين في الهدف؛ فكما أوقف الظّاهر بيبرس الاجتياح المغولي، فسيتمكن أيضا أبناء فلسطين ومرابطوها من تحقيق نصرهم واستعادة وطنهم.

وتستوقفنا -ها هنا- جملة الافتراضات المسبقة التّي يمكن تلخيصها فيما يلي:

*الافتراض الأوّل: في القدس معالم تاريخية تثبت عروبتها.

*الافتراض الثاني: الظّاهر بيبرس غلّاب المغول.

*الافتراض الأخير: أنشأ الظّاهر بيبرس أول مدرسة في القدس.

وتندرج هذه الافتراضات ضمن زمرة الافتراضات المسبقة الواقعيّة، التّي تكشف عن مرامي الشّاعر الذّي يقف وقفة المدافع عن عروبة فلسطين رافضا الحقائق المزيّفة مبيّنا حقائق تاريخيّة تنحو بالمتلقّي إلى استكشاف معالم تعكس مدى أصالة القدس وعراقتها؛ فالبرغوثي وظّف افتراضات مسبقة واقعية متعددة، بيانها كالآتي: الافتراض الأوّل: في القدس معالم تاريخية تثبت عروبتها. ومن بين هذه المعالم "المدرسة الأباصيرية، وهي مدرسة أنشئت في عهد الملك الظاهر بيبرس اتجاه الرباط المنصوري بجانب باب الناظر. (العارف، د ت: 87 - 88) وبمجرد الوقوف عند هذا الافتراض نجد البرغوثي، يؤكد من خلال افتراض مسبق واقعي عروبة القدس ومكانتها الدينيّة بين الأمم كما هو مبيّن في الافتراض الأخير أنشأ الظاهر بيبرس أول مدرسة في القدس. في حين يؤكّد الافتراض المسبق الثاني: الظاهر بيبرس غلاب المغول. أنّ مؤسس المدرسة الأباصيريّة ليس بمشيد لمنشآت فقط؛ وإنما محارب فذ أنهى الوجود المغولي في عين جالوت سنة 1260 م. (غانم، 2011، 71) وبناءً على ما سبق يمكن تلخيص الافتراضات المسبقة الواقعيّة فيما يأتي: إنّ الافتراضات المسبقة كما سبق الحديث عنها هي عبارة عن افتراضات مسبقة كامنة متحوّلة إلى افتراضات مسبقة واقعية إذا ما حدث تفاعل بين المتخاطبين؛ لأنّ الرّابط المشترك أو العرف اللّغوي المشترك بينهم يجعل من الافتراضات الكامنة قابلة لأن تكون واقعيّة، ولذا فإنّ القول: إنّ استحضار البرغوثي للظّاهر بيبرس وللمدرسة الأباصيريّة دون غيرهما من الوحدات المعجميّة، من قبيل: الملك المظفّر، إنشاء الخان،...إلخ، هدفه الكشف عن المكانة الدينيّة للقدس؛ فالظّاهر بيبرس يلقّب أيضا بالأمير ركن الدّين بيبرس وقد عمل على تجديد ما تهدّم من مسجد الصّخرة أيضا. (العارف، د ت: 87، 88) وغير ذلك من المنشآت.

وفي تصوير ممتع ينقل لنا البرغوثي ملامح المقاومة، فيقول:

فِي الْقُدْسِ رَائِحَةٌ تُلَخِّصُ بَابِلًا والهِنْدَ فِي دُكَّانِ عَطَّارٍ بِخَانِ الزيتْ

والله رَائِحَةٌ سَتَفْهَمُهَا إذَا أَصْغَيتْ

وَتَقُولُ لِي إذ يُطْلِقُون قَنَابلَ الغَازِ المُسيّلِ للدُّمُوعِ عَلَيَّ: "لَا تَحْفَلْ بهم"

وَتفُوحُ مِنْ بعد انْحِسَار الغَازِ، وَهْيَ تَقُولَ لِي: "أَرَأَيتْ !"

فِي الْقُدْسِ يَرْتَاحُ التَّنَاقضُ، والعَجَائِبُ لَيْسَ يُنْكِرُهَا العِبَادُ

كَأَنَّهَا قِطَعُ الْقُمَاشِ، يُقَلِّبُونَ قَدِيمَهَا وَجَدِيدَهَا

وَالمُعْجِزَاتُ هُنَاكَ تُلْمَسُ بِاليَدَيْنْ

فِي الْقُدْسِ لَوْ صَافَحْتَ شَيْخًا أَوْ لَمَسْتَ بِنَايَةً

لَوَجَدْتَ مَنْقُوشًا عَلَى كَفّيْكَ نَصَّ قَصِيدَةٍ

يابْنَ الكِرَامِ أَوْ اثْنَتَيْنْ

(البرغوثي، 2015، 10، 11)

تعكس هذه الأبيات إلحاح الشاعر على عرض ملامح استمراريّة المقاومة في القدس، مستعينا بالجمع بين المتضادات/ المتقابلات من جهة، وبالتجسيد من جهة أخرى؛ إذ إنه يعرض صور المقاومة من خلال اللجوء إلى الجانب التصويري: (بابل والهند في مقابل جنود الاحتلال)، و(الرائحة المنبعثة من دكاكين العطارين في مقابل رائحة الغاز المسيّل للدموع)، و(المقاومة قديما في مقابل المقاومة حديثا)، من أجل تسليط الضوء على ما

تكابده القدس من ويلات الحروب سواء أكان ذلك في القديم أم ما تعايشه الآن. وهذا ما يمكن عرضه في الافتراضين الآتيين:

*الافتراض الأول: المقاومة بين الماضي والحاضر

*الافتراض الأخير: تجدد الحصار والاستمراريّة في الأحداث.

إنّ المدقق في هذين الافتراضين يستنتج أنهما ينتميان إلى الافتراضات المسبقة الوجوديّة، حيث بالإمكان التفصيل فيهما استنادا إلى عامل الاستمرارية؛ فإذا فصلنا الحديث عن الافتراض الأول: المقاومة بين الماضي والحاضر، نلحظ أنّ الشّاعر قد عمد إلى عمليّة التّشخيص ليعبّر عن الصراع الذّي عايشته القدس بعد أن صارت مستعمرة "بابليّة تدفع الضرائب لبابل وتتكاتب معها، وانتشرت اللغة البابليّة، وظلت هذه لغة البلاد الرّسمية حتى الفتح الفارسي" (العارف، د ت، 22). والذّي مازالت تعايشه. وليبسط الحديث عن الصراعيّن استحضر لفظة "الرائحة" المعبّر بوساطتها عن حال القدس؛ وهنا نجده يختار من بين الأسواق القديمة الواقعة داخل أسوار المدينة، "سوق خان الزّيت" الذّي تنبعث من دكاكينه روائح تشهد على تعدّد الحضارات في القدس ولاتزال شاهدة على ذلك؛ فالبرغوثي وهو يتحدّث عن "الرائحة" يفتح أفاق التأويل نحو المتلقي، إذ إنه شبهها بالإنسان؛ فمرة يقول: (لها لغة ستفهمها إذا أصغيت)، فقد ذكر المشبه (الرائحة) وحذف المشبّه به (الإنسان) تاركا قرائن تدل على ذلك، وهي من خصائص الإنسان (اللغة) – التي تمثل الخاصية النوع التّي تميز الإنسان عن غيره من الكائنات الحية-، فكما تسهم اللغّة في عمليّة الفهم والإفهام؛ فإنّ هذه الرائحة من شأنها أنّ تعكس قدم المقاومة في القدس. والملاحظ على البرغوثي أنّه وظّف لفظة (الإصغاء) في قوله: (إذا أصغيت)، بدلا من (الاستماع)، وذلك لما يؤديه فعل الإصغاء من دلالات (استماع مع التّركيز)، بحيث إنّه أقوى درجة من الاستماع (إعمال الأذن من أجل التقاط الذّبذبات الصوتيّة الصادرة من العالم الخارجي)؛ ففي نظر الشّاعر أنّه إذا تحقق الإصغاء من قبل الآخر، فسيفهم تلكم المعاني التّي تحققها الروائح المنبعثة من دكاكين العطارين والتّي توحي وتؤكد على أصالة القدس الشريف. ومرّة أخرى يقول: (تقول لي... لا تحفل بهم !)؛ فقد شخّص الشّاعر الرائحة مشبها إيّاها بالإنسان –أيضا-، والجامع بينهما الخطاب، وبالتحديد الخطاب السّاخر، وكأنّ الرائحة – ها هنا- تسخر من العدوان الإسرائيلي الذّي ينثر الغاز المسيّل للدموع هنا وهناك، وتصر على أنّ الانتصار عليهم قريب، وأنّ قداسة القدس ستنتصر على الاحتلال (روائح الغاز)، وهذا ما يجسّده قوله في محاورة الرائحة له: (لا تحفل بهم !) والتّي تعكس الأمل في انتصار المقاومة وتحقيق العدالة الإلاهيّة، ثم تعزز ذلك بالتأكيد على أمل الانتصار، الذّي يظهر في قوله: (أرأيت!)؛ بمعنى انظر فعلى الرغم من الخراب الذّي طال المدينة من قبل الاحتلال، إلا أن قداسة القدس (الروائح المنبعثة من الأسواق) أقوى من مخططات الاحتلال (روائح الغاز المسيل للدموع).

ثم ينتقل البرغوثي إلى الحديث في الافتراض الأخير: تجدد الحصار والاستمراريّة في الأحداث، عن تجدد المقاومة واستمراريتها مع أمل الانتصار؛ أي احتلال ثم مقاومة ثم نصر واسترجاع للحريّة، فهذا ما تعيشه القدس منذ القدم، فهي بين صراع الاحتلال ولذة الانتصار التّي تبث فيها الحياة من جديد، وهذا ما يجسّده قوله: (في القدس يرتاح التّناقض)، إذ إنّه خلف كلّ مستعمر مخلفات ماديّة وبشرية لا يمكن إنكارها من قبل أيّ مُنكِر؛ لأنّ الشّواهد على ذلك مبثوثة هنا وهناك، والتي يثبتها قوله: (صافحت شيخا أو لمست بناية)، ومن هذا المنطلق يتبيّن أنّ الشاعر قد انتقى وحدتين دلاليّتين متمثّلتين في: (الشّيخ والبناية)؛ وكل منهما يوحي بتقادم الأقوام والأمم على تعدد مللهم ونحلهم على القدس؛ فالربط بين مصافحة الشيخ وملامسة البناية يودي -حسب الشاعر- إلى نتيجة مفادها أن القصائد التي تحكي قصة القدس، تنقش على يدي المصافح، وإذا تتبعنا مدلول "الشيخ" في القصيدة فيمكن أن يرمز إلى المدّة الزمنيّة التّي قضتها القدس وهي تتجاوز محنها الاستعماريّة محنة بمحنة، في حين إذا دققنا النظر في لفظة البناية؛ فإننا قد نصل إلى ملخصات تثبت مقاومتها للأعداء منذ آلاف الأعوام؛ فكل ركن من أركانها وكل زاوية من زواياها تظل شاهدة على الويلات التّي شهدتها المدينة. وهكذا، يتجسّد وينعكس واقع القدس المتأرجح بين جور الاحتلال وفخر الانتصار.

وينتقل الشّاعر من الحديث عن المقاومة إلى الجهاد في سبيل استرجاع القدس، والحرية المسلوبة، فيقول:

فِي الْقُدْسِ، رُغْمَ تَتَابُعِ الْنَّكَبَاتْ، رِيحُ بَرَاءَةٍ فِي الْجَوِّ، رِيحُ طُفُولَةٍ،

فَتَرَى الْحَمَامَ يَطِيرُ يُعْلِنُ دَوْلَةً فِي الْرِّيحِ بَيْنَ رَصَاصَتَيْنْ

(البرغوثي، 2015، 12)

يحاكي البرغوثي الواقع الأليم الذّي تعيشه القدس، مركّزا على النكبات المتتابعة التّي تأتي ردافا، وبدورها تصيب الأطفال، فتبخسهم حقّهم في الحياة، وليبيّن ذلك شبههم بالحمام الذّي يرمز في أغلب الأحوال إلى السّلام؛ وبالتالي فإن هذا الرمز يحمل بعدين رئيسين، فأما الأول؛ يتمثل في ارتقاء الأطفال إلى بارئهم تباعا مثلما يغزو الحمام السّماء مرتقيا أعلاها، فهذا المشهد لا يكاد يغيب عن الأذهان، فلا يفتأ يتكرر بين الفينة والأخرى، مصوّرا بذلك ألم الموت ولذّة الاستشهاد، وأما الثاني؛ فيترجم شغف الشّاعر إلى الظفر بالحرية بعد الرباط والجهاد، وهذا من شأنه أن يجسّد لنا مجموعة من الافتراضات نجملها فيما يلي:

*الافتراض الأوّل: تعاني القدس من ويلات الاحتلال وتكالبه

*الافتراض الثّاني: جهاد الأطفال في سبيل موطنهم ولو بمقلاع حجر.

*الافتراض الأخير: الجهاد من أجل تحقيق الحريّة

وإذا ألقينا نظرة متفحصة على هذه الافتراضات نجدها -لا محالة- ضمن زمرة الافتراضات المسبقة الوجودية؛ فالشّاعر في الافتراضين الأولين: تعاني القدس من ويلات الاحتلال وتكالبه، وجهاد الأطفال في سبيل موطنهم ولو بمقلاع حجر؛ هيّأ للحديث عن واقع تعيشه القدس كلّ يوم، متحدثا عن الطفولة التّي تحمي القدس وتحتمي من الدمار الذّي يلحقه الاحتلال بهم، فيرتقون بذلك إلى أعلى المراتب وهي الشهادة، وبوساطة التّعيين خص حديثه بفئة دون غيرها، وهي فئة الأطفال؛ وبهذا يتفعّل المحتوى المفترض والقول نفسه على خط زمني واحد (أوريكيوني، 2008، 74). في حين حاول في الافتراض الأخير: الجهاد من أجل تحقيق الحريّة الإحاطة بمبتغى كل

فلسطيني مرابط كان أو مغترب؛ ولعلّ هذا ما كان يقصده بقوله: (في الريح بين رصاصتين)؛ إذ قد تعكس لفظة رصاصتين معنى الجهاد والنصر بفك الحصار، بينما الريح قد تحمل دلالة القوة والنصر؛ فبين الجهاد وفك الحصار تكمن القوة والاتحاد، ويمكن أن نستدل على ذلك بقوله تعالى:

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال: 46)، إذ الريح في هذا المقام تحمل معنى القوة والنصر كما أشار القرطبي المتوفى سنة 671 هـ في تفسيره. (القرطبي، 2006، 10/ 40). وبتحقيق النصر وفك الحصار تعلن الدولة. ويبدو أن البرغوثي حينما شخص الريح، أراد بذلك الدعوة إلى الرباط، لأنّ إعلان الحرية مرهون بالقوة والنصر، ولذا نجده قد أسند إعلان الدولة إلى لفظة الحمام. ويمكن تجسيد المحتوى المفترض في الجدول الآتي:

الشكل (07) الافتراضات المسبقة الوجودية

العبارة	الافتراض المسبق الوجودي
في القدس تتابع النكبات	معاناة القدس من الحرب وويلات الاحتلال (موجود)
في القدس ريح طفولة	كفاح الأطفال واستشهادهم (موجود)
الحمام يطير في السماء يعلن دولة بين رصاصتين	الكفاح من أجل فك الحصار والانتصار (موجود)

شجون الشاعر وتماهيه في الحديث عن القدس جعله يستأنف حواره مع كاتب التاريخ مجددا، فيقول:

يَا كَاتِبَ التَّارِيخِ مَاذَا جَدَّ فَاسْتَثْنَيْتَنَا

أَرَأَيْتَهَا ضَاقَتْ عَلَيْنَا وَخْدَنَا !

يَا شَيْخُ فَلْتُعِدِ الْكِتَابَةَ وَالْقِرَاءَةَ مَرَّةً أُخْرَى أَرَاكَ لَحَنْتْ

(البرغوثي، 2015، 11، 12)

يلوم الشّاعر في هذه الأبيات كاتب التّاريخ على أحكامه المسبقة التّي صيّرت الفلسطيني غريبا؛ فكان حكمه جائرا، وهذا الأمر جعله يوظف الاستفهام الذّي يحمل في ثناياه استنكارا للمخاطب هو "كاتب التاريخ"، الذّي تحقّق بأمرين، هما: التّعجب، واقتران الهمزة بالفعل لا الفاعل؛ إذ إنّ ذلك يعكس شكوك الشّاعر في احتمال وقوع عمليّة الرّؤية من عدمها، وهذا ما يفسّره الجرجاني، قائلا: "ومن أبين شيء في ذلك "الاستفهام بالهمزة" فإن موضع الكلام على أنّك إذا قلت: "أفعلت؟"، فبدأت بالفعل، كان الشّك في الفعل نفسه، وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده، وإذا قلت: "أأنت فعلت؟" فبدأت بالاسم كان الشّك في الفاعل من هو وكان التردّد فيه. ومثال ذلك أن تقول: [...] "أفرغت من الكتاب الذّي كنت تكتبه؟" تبدأ في هذا ونحوه من الفعل لأنّ السّؤال عن الفعل نفسه والشّك فيه، لأنّك في جميع ذلك متردّد في وجود الفعل وانتفائه، ومجوّز أن يكون قد كان، أو يكون لم يكن." (الجرجاني، د ت، 111) وهكذا، يغدو توظيف الشّاعر لهمزة الاستفهام مقترنة بالفعل رأيت منبعثا من اللاواقعية في سرد الأحداث من جهة، واحتمالية عدم سردها إطلاقا من جهة أخرى، فالقدس لم تضق على غير الفلسطينيين أفتضيق على أبنائها؟!.

ولعل أهم ما يستوقفنا ونحن نتحدث عن سرد الوقائع والأحداث مجموعة من الافتراضات نلخصها في اثنين، هما:

*الافتراض الأوّل: تزوير الحقائق من قبل الإعلام

*الافتراض الآخر: خطأ الإعلام في عرض الحقائق.

وبالتمعّن في مثل هذه الافتراضات المسبقة يمكننا القول: إنّ البرغوثي قد اعتمد في سرده للأحداث على الافتراضات المسبقة غير الواقعيّة (Non-Factive persupposition): "هو الافتراض المسبق الذّي تفترض عدم صحته" (يول، 2010، 57) وفي الأبيات السّالفة الذّكر إقرار بذلك، فمن خلال الافتراض الأول: تزوير الحقائق من قبل الإعلام؛ يتبيّن جليّا سعي الإعلاميّين والمؤرّخين نحو إقصاء الفلسطيني من موطنه، على الرّغم من وجوده به ورباطه من أجل استرجاعه، وهذا ما يتحقق في: الافتراض الثّاني: خطأ الإعلام في عرض الحقائق، الذّي تظهر من خلاله سخريّة الشّاعر من المؤرخ واصفا إيّاه بالشّيخ الذّي كلّما تقدم به السّن أدرك أمورا ونسي أخرى، فينتج عن شيخوخته تعتيم الأحداث والخطأ في سردها وعرض الحقائق؛ فالفلسطينيّ فلسطيني وأرضه فلسطين حتّى لو طاله التّهجير والتّهميش والقتل والتّشريد.

ومن العتاب ينتقل البرغوثي إلى المناجاة، فقد تجوّل بفكره وكلماته بين الفخر واللّوم والسُّخريّة والألم والأمل، وفي الأبيات الموالية انعكاس لأمل يجول في نفسيّة الشّاعر السّاخطة على وضع وطنها الراضيّة بقدر الله النّافذ، يقول:

إِذْ فَاجَأَتْنِي بَسْمَةٌ لَمْ أَدْرِ كَيْفَ تَسَلَّلَتْ لِلْوَجْهِ

وَقَالَتْ لِي وَقَدْ أَمْعَنْتُ مَا أَمْعَنْتْ

يَا أَيُّهَا الْبَاكِي وَرَاءَ السُّورِ، أَحْمَقُ أَنْتْ؟

أَجُنِنْتْ؟

لَا تَبْكِ عَيْنُكَ أَيُّهَا الْمَنْسِيُّ مِنْ مَتْنِ الْكِتَابْ

لَا تَبْكِ عَيْنُكَ أَيُّهَا الْعَرَبِيُّ وَاعْلَمْ أَنَّهُ

فِي الْقُدْسِ مَنْ فِي الْقُدْسِ لَكِنْ

لَا أَرَى فِي الْقُدْسِ إِلَّا أَنْتْ

(البرغوثي، 2015، 12)

تحمل هذه الأبيات في مجملها مجموعة من الافتراضات المسبقة والمشتركة في الآن نفسه بين مرسل الخطاب ومتلقّيه؛ فإذا تتبّعنا قول الشاعر، نجده - في مجمله- مجموعة من الافتراضات التّي يمكن تلخيصها في النّقاط التّالية:

- الافتراض الأول: القدس محتلّة؛ ما هو متّفق عليه هو اتّساع الاستيطان والاحتلال الإسرائيلي ليشمل فلسطين بكل مقاطعاتها، فبمجرد قول الشّاعر: "أيها الباكي وراء السّور"، يدرك المخاطب مباشرة أنّ الفلسطيني هامش لمتن نصّه الإسرائيلي، وهذا الإدراك نابع عن العهد اللّغوي بين أركان العمليّة التّواصليّة، وهو افتراض أكثر قوّة ويميل للصدق، وفي قول (ولسن وسبيربر)، ما يبيّن ذلك، فـ "الافتراضات المبنيّة على أساس تجربة إدراكيحسيّة تميل إلى كونها

قوّة جدّا." (سبيربر وولسن، 2016، 143) لاسيّما وأنّ الواقع المعاش يثبت ذلك ويدلّل عليه. فضلا عن ذلك، فإنّ بكاء الفلسطيني خلف جدران قدسه حقيقة كامنة في أذهان المتكلّمين والمتحاورين على حدّ السّواء. ولعلّ هذا الافتراض يقودنا بالضّرورة إلى الافتراض الثّاني، الذّي سيكون محور الحديث في النقطة الموالية.

- الافتراض الثاني: منع الفلسطيني المغترب من زيّارة قدسه؛ وهو افتراض ناتج عن العمليّات الإدراكية والحسيّة التّي يتمتّع بها الشّاعر، إذ جعلته يلخص عدم زيّارة قدسه بمجموعة من القرائن اللّغوية، منها: (البكاء، السّور، منسي، متن، وراء)، واعتماد المتلقّي على سياقات خارجية (قرائن غير لغوية) من أجل حلّ مغاليق الافتراض والكشف عن المضمر من الخطاب. ولذلك فالمنع عن الزّيارة قد حدّدته قرائن لغوية وأخرى سياقية، أسهمت في الاستدلال عما تضمّنه الافتراض المسبق لدى (البرغوثي). وإن تعدّدت سبل المنع، فإنّ فلسطين موطن كلّ فلسطيني مغتربا أكان أم مرابطا. وهذا ما سيبيّنه الافتراض الأخير.
- الافتراض الأخير: فلسطين للفلسطينيّين؛ ويتحقّق هذا الافتراض بوجود مجموعة من العناصر اللّغوية، وهي في الآن نفسه قرائن تدلّ على أنّ افتراضات الشّاعر حقيقيّة، وهي: (العربي، وفي القدس، وأنت، ولا تبك، والبسمة...)، وبدورها تعكس حقيقة يفقهها المتحاورون، والمتمثّلة في كون القدس عربية، القدس للفلسطينيّين وإن اغتربوا عنها.

والملاحظ على الافتراضات السابقة أنها ذات طابع بنوي، أي إنها تندرج ضمن الافتراضات المسبقة البنيوية (Structural Presuppositions) إذ: "تحلّل بعض الجمل والبنى عرفيّا وبانتظام على أنّها تفترض مسبقا ذلك الجزء من البنية الذّي افترضت صحّته. ويمكننا القول إنّ بإمكان المتكلّمين استعمال تراكيب مثل هذه لمعاملة المعلومات على أنّها مفترضة مسبقا، (أي مفترضة على أنّها صحيحة). على سبيل المثال يتم تفسير بنية السؤال الاستفهامي[...] عادة مع الافتراض المسبق أن المعلومات التي تلي أداة السؤال مثلا (متى) و(أين) معروفة الحال." (يول، 2010، 55، 56) واستنادا إلى هذا التّفسير الذّي قدّمه (جورج يول)، يمكن معالجة ذلك من خلال الافتراض الأول: القدس محتلة، وسوغ وجود هذا الافتراض جملة تساؤلات "أحمق أنت؟، أجننت؟" وإن كان هذان السؤالان يعكسان محاولة الشّاعر ترميم ما هُدّم من نفسيّته أثناء زيارة القدس، إلّا أنّ البنى التّي تلي الاستفهام تفسر طبيعة الاستفهام؛ لأنّ البرغوثي قد أردفها ببطاقة هويّة تثبت مكانة الفلسطيني من فلسطين، مستخدما أداة الاستثناء "إلا" ليؤكد أنّ الفلسطينيَّ هو متن النص وهامشه.

الخاتمة

النتائج

- إنّ الممارسة الاستدلاليّة للخطاب الشّعري ماهي إلا نتاج لمجموعة من الآليات والمعايير التّي تتوافر في نظرية أو منهج أو علم معيّن، وحتى يتمكّن المتلقي من الوصول إلى المسكوت عنه لا بدّ وأن يرتكز على السيّاق بوصفه الركيزة الأساس في العمليّة التّأويليّة.
- تستند الممارسة التأويلية إلى جملة من الآليات، التّي يمكن أن نصطلح عليها بـ "آليات التحليل التداولي"، نذكر منها: الأفعال الكلاميّة، والاقتضاء التخاطبي، والاستلزام الحواري، والافتراض المسبق؛ تعمل هذه الآليات على البحث فيما وراء الخطاب واستبطان مضمراته، فهي ليست مجرد آليات فحسب، وإنّما هي إضافة إلى ذلك نظريات يمكن اعتماد أسسها في تفعيل النص وربطه بالعالم الخارجي أيضا، فيغدو بنية متراصة دلاليا، منسجمة تداوليّا، بمعنى أنّها تسهم في تحقيق الفعل التّواصلي.
- هناك نصوص تستدعي من دارسها ومحلّلها استكناه حقيقة ما يحمله بناؤها من معانٍ خفيّة فيحدث تفاعل بين عناصر العمليّة التواصليّة (مرسل الخطاب، ومتلقيّه، والخطاب بسيّاقاته المتعدّدة)، في حين هناك من النّصوص التّي يغيب عنها عنصر التّفاعل والحبك، ما يجعل القارئ أمام عمليّة تطويع لمعاني النّص مع ما يتطلّبه السّياق، أو قد ينعدم ذلك تماما.
- تعد آلية الافتراض المسبق من بين آليات التّحليل التّداولي التّي تسهم في ربط النّص أو الخطاب بالعالم الخارجي؛ فضلا عن الإنتاجيّة الدّلاليّة المنعكسة عن البنى السّطحيّة للخطاب، وهذا ما يمكن استثماره من "قصيدة في القدس" لـ "تميم البرغوثي" الحاملة للكثير من المضمرات منها ما هو واضح جلي لكلا الطرفين (الشّاعر والمتلقي)، فيتمكن المتلقي من الكشف عنها، ومنها ما يستدعي السّياق غير اللّغوي بأنواعه فتنّضح بوساطته عديد الإشكالات المتعلقّة بضبط المعنى، وتتيّسر عمليّة الوصول إلى المسكوت عنه.
- لعلّ (البرغوثي) وهو يحاول عرض الواقع الفلسطيني للآخر، جعل من خطابه حلّة امتزجت فيها كلّ أنواع الافتراض المسبق التّي حدّدها (جورج يول) في كتابه (التّداولية) ؛ فيظهر بجلاء توظيفه للافتراضات المسبقة المطابقة للواقع أثناء حصره الحديث عن القدس دون غيرها من المقاطعات الأخرى، مثل: غزة، والجليل...إلخ؛ إذ المنع من الزيارة قد طال القدس، الأمر الذّي جعل الشّاعر يستحضر وحدات معجميّة ويخمد أخرى، هذا من جهة، واستحضار شخصيّات تاريخيّة ومعالم أثرية كان لها الأثر البارز في تحديد بطاقة هويّة للأرض الفلسطينيّة، فهي عربيّة إسلاميّة دون منازع، ومن أهمّ الشّخصيات الحاضرة في القصيدة (الظّاهر بيبرس) صاحب المدرسة الأباصيريّة، من جهة أخرى. ومن الافتراضات المطابقة للواقع إلى الافتراضات المسبقة الوجوديّة بحيث يفترض أنّ كل ما عبّر عنه البرغوثي موجود ومعاش؛ إذ البعد موجود، والسّعي إلى زيارة القدس ولو كانت محتلّة موجود،

تغير الواقع الفلسطيني إلى دمار وخراب موجود، كفاح الأطفال موجود، والاستشهاد والرّضا بحكم الله النّافذ موجود...إلخ، وقد عبر عن ذلك بوساطة مجموعة من الوحدات اللغوية التّي تعكس دقة تصويره، مثل: الحمام، والريح، والرائحة..؛ هذه الوحدات التّي حاول من خلالها تجسيد الواقع الفلسطيني بجلاء. ليس هذا فحسب؛ بل ذهب (البرغوثي) إلى أبعد من ذلك، وهو يفسر ويثبت قداسة القدس وعروبتها في افتراض آخر هو الافتراض المسبق المعجمي المحدد لجملة المعاني المؤكدة في مقابل المعاني غير المؤكدة الظاهرة على مستوى الخطاب، فمثلا الظّاهر من العبارة: مهلا يحمل مفهوما غير مؤكد (معنى غير مؤكد)، هو الإقرار بأن فلسطين غير عربية لكن الافتراضات المسبقة المؤكدة تؤكد على عروبة القدس وقداستها... إلخ. وبالنظر إلى سخريّة الشّاعر من كاتب التّاريخ يبرز بوضوح تزوير الحقائق والخطأ في عرضها، وهذا ما نلمسه في الافتراضات المسبقة غير الواقعيّة فالقول: إن أرض فلسطين ليست للفلسطينيين أمر محظور؛ فهي لم تضق على غير الفلسطينيين أفتضيق على أبنائها؟! ليختتم خطاب (البرغوثي) بلون آخر من ألوان الافتراض المسبق وهو: الافتراض المسبق البنيوي الذّي اقترن بالاستفهام من جهة والاستثناء من جهة أخرى والمعنى المراد تأكيده منهما هو مكانة الفلسطيني من فلسطين؛ إذ إنّه الأصل وإن جار عليه الزمن.

- وهكذا، وانطلاقا من تحليلنا لقصيدة (البرغوثي)، نقول: إن ما تحمله القصيدة من الدلالات وإيحاءات جعل من الممارسة الاستدلاليّة أمرا ممكنا، فضلا عن ذلك لغة الشّاعر ورصانتها ومحاكاتها للواقع الفلسطيني الذّي انعكس على التحليل ومنحه أبعادا أخرى أسهمت كثيرا في استبطان كنه الخطاب واستكشاف خباياه، الأمر الذي جعل من القصيدة بنية مترابطةً متفاعلةً والعالم.

التوصيات

واستنادا إلى النّتائج المتوصّل إليها يتم تقديم بعض التّوصيات المتعلقّة بالموضوع، وهي كالآتي:

- تكثيف الدّراسات التّطبيقيّة المتعلّقة بالممارسة الاستدلاليّة لاسيّما الافتراض المسبق.
- فتح مجال البحث للباحثين في ميدان الدّراسات اللّسانية من أجل استثمار آليات الاستدلال التّداولي في مقاربة النصوص، وذلك بدعم الفعاليّات والمؤتمرات العلمية وكذا الاستكتابات الجماعيّة.
- تخصيص المجلّات لأعداد ينفرد باحثوها باستبطان المعاني المضمرة التي يهدف شعراء الأرض المحتلة – فلسطين- إيصالها للآخر بوساطة أشعارهم.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع العربية

القرآن الكريم

الكتب العربية:

- البرغوثي، تميم. (2015). في القدس، ط2، مصر: دار الشروق.
- التهانوي، محمد علي. (1996). موسوعة كشاف اصطلاحات العلوم والفنون، ط1، لبنان: مكتبة لبنان ناشرون.
- الجرجاني، الشريف، علي بن محمد. (1985). كتاب التعريفات، (د.ط)، لبنان: مكتبة لبنان.
- الجرجاني، عبد القاهر. (د ت). دلائل الإعجاز في علم المعاني. مصر: مكتبة الخانجي
- حمو الحاج ذهبيّة.)2014). من اللسانيات إلى اللسانيات التداولية - إشكالية التطور والتحول- (من كتاب التداوليات وتحليل الخطاب - بحوث محكمة تأليف علوي، حافظ، إسماعيلي وعبد الرحيم، منتصر، أمين. الأردن: دار كنوز المعرفة العلمية.
- ختام، جواد. (2016). التداولية -أصولها واتجاهاتها-، ط1، الأردن: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.
- ابن سيده، أبو الحسن بن علي بن إسماعيل. (2003). المحكم أو المحيط الأعظم، ط2، مصر: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
- صحراوي، مسعود. (د ت). التداولية عند العلماء العرب -دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي. لبنان: دار الطليعة.
- العارف، عارف باشا. (د ت). تاريخ القدس. مصر: دار المعارف.
- العارف، عارف. (1999). المفصل في تاريخ القدس. القدس: مطبعة المعارف
- العسكري، أبو هلال. (د ت). الفروق اللّغويّة. مصر: دار العلم والثّقافة للنشر والتوزيع.
- غانم، عماد الدين. (2011). الملك الظاهر بيبرس، ع 4، سوريا: الهيئة العامة السورية للكتاب، منشورات الطفل، وزارة الثقافة.
- ابن فارس، أبو الحسن أحمد. (1979). مقاييس اللغة، (د.ط) مصر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- مفتاح، محمد. (1990). دينامية النص، ط2، المغرب/ لبنان: المركز الثقافي العربي.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد. (2006). الجامع لأحكام القرآن المبيّن لما تضمنه من السنة وآي القرآن، ط1، لبنان: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.
- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم. (د ت). لسان العرب، (دط)، مصر: دار المعارف.
- الناجح، عز الدين. (2015). تداولية الضمني والحجاج بين تحليل الملفوظ وتحليل الخطاب -بحوث ومحاولات- (دط)، تونس: مركز النشر الجامعي.

***الكتب المترجمة**

- أدرنتي، إنس. (2016)، لماذا تحتاج التداولية الفلسفية إلى تداولية عياديّة. (ترجمة منتصر أمين عبد الرحيم، من كتاب آفاق تداولية - دراسات وبحوث مختارة-.) الأردن: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع. (المجلد23/ 2012)
- أرمينكو، فرانسواز. (1987)، المقاربة التداوليّة. (ترجمة سعيد علوش). المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع. (1985).

- أوريكيوني، كاترين، كيربرات. (2008)، المضمر. (ترجمة ريتا خاطر)، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية. (السنة الأصلية للنشر 1998 Armad Colin)
- سبيربر، دان. وولسن، ديدري. (2016)، نظرية الصلة أو المناسبة في التواصل والإدراك (ترجمة هشام إبراهيم عبد الله الخليفة). لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدّة. (1986)
- يول، جورج. (2010)، التداولية. (ترجمة قصي العتابي). المغرب: دار الأمان. (1996).

المجلات والدوريات

- علي، عاصم شحاتة والكنغ، عثمان جميل قاسم. (2015). الافتراض المسبق مفهوما تداوليا في الفكر اللغوي عند العرب القدامى -وصف وتحليل-، (مقاربات في اللسانيات والأدبيات بين التقليد والتجديد)، الجامعة الإسلاميّة العالميّة، ماليزيا، المؤتمر العالمي الخامس: 41-57.

ثانياً: ترجمة المراجع العربية إلى اللغة الإنجليزية

The Holy Quran.

Books:

- *Al-Barghouti, Tamim. (2015). In Jerusalem, 2nd edition, Egypt: dar Al-Shuruq.*
- *Al-Thanawy, Muhammad Ali. (1996). The encyclopedia scout of terms sciences and arts, 1st edition, Lebanon: Lebanon Library Publishers.*
- *Al-Jurjani Ali bin Muhammad Al-Sharif. (1985). a book of Definitions, Lebanon: Lebanon Library.*
- *Al- Jurjani, Abdel – Qaher. (No date). clues of miraculousness in the science of meanings, Egypt: Khanji Library .*
- *Hamou Lhadj, Dehbia. (2014). From Linguistics to pragmatic Linguistics -The problem of evolution and transformation-. (From the book: Pragmatics and Discourse Analysis -refined Research) Authorship: Alawi, Hafez Ismaili & Abdul Rahim, Muntasir Amin, Jordan: Dar Kunuz Al-marefa for Publishing and Distribution.*
- *Jawad Khitam. (2016). Pragmatics - its origins and trends – 2nd edition, Jordan: Dar Al-marefa for Publishing and Distribution.*
- *ibn seedah, Abu al-Hasan bin Ali bin Ismail. (2003). Arbitrator and Al- Muheet al -Atham, 2nd edition, Egypt: Arab organization of education and culture and science .*
- *Sahrawi, Massoud. (No date). Pragmatics for the Arab linguists. – pragmatic studies of speech acts in Arabic linguistic heritage, Lebanon: Dar Al-talaih for Publishing and Distribution.*
- *El-Aref, Aref Basha. (No date). Jerusalem history, 2nd edition, egypt: Dar Al-maaref.*
- *El-Aref, Aref. (1999). The Detailed in Jerusalem History. 5th edition. Jerusalem: Al-maaref press*
- *El-Askari, Abu Hilal. (No date). the linguistic differences, egypt: Science and Culture house for Publishing and Distribution.*
- *Ghanem, Imad El Din (2011). King Al-Zahir Baybars, 3rd Edition, Syria: Syrian General Authority of book, Child publications, Culture ministry .*
- *Ibn Faris, Abul Hassan Ahmed (1979). language metrics. Egypt: Dar Al Fikr for Printing, Publishing and Distribution.*
- *Muftah, Muhammad. (1990). dynamic text, 2nd edition, Morocco / Lebanon: The Arab Cultural Center.*
- *Al-Qurtubi, Abu Abdullah Muhammad. (2006). The compiler of the provisions of the Quran and the clarification of what it contains from the Sunnah and the verses of the Qur'an, 1st edition. Lebanon: Al-Resala Foundation for Printing, Publishing and Distribution.*
- *Ibn manzur, Muhammad bin Makram. (No date). Lissān Al-Arab, 1st edition. Egypt: Dar Al- maaref .*
- *Anajih, Ezzedine. (2015). Implicit and argumentation Pragmatics between utterance analysis and discourse analysis - research and Attempts, Tunisia: university publishing center .*

Translated Reference:

- *Adornetti, Ines. (2016). Why PhilosoPhical Pragmatics need Clinical Pragmatics? (Translated by: Abdul Rahim Muntasir Amin), (From the book: pragmatics prospects -Selected studies and research part 01), Jordan: Dar Kunuz Al-marefa for Publishing and Distribution. (Vol 23/2012).*
- *Armengaud, Francoise. (1987). Pragmatics, (Translated by: Said Allush), Modern establishment for Publishing and Distribution.(1985)*
- *Orecchione, Kerbrat Catherin. (2008). The Implicit, (Translated by: Rita Khater), Lebanon: Center for Arab Unity Studies/ The Arab Organization for Translation (Armad Colin 1998).*
- *Sperber, Dan & Wilson, Deirdre. (2016). Relevance - communication and cognition-, (Translated by: Hisham Ibrahim Abdullah Al- Khalifa), Lebanon: United New Book House.(1986) .*
- *Yule, George. (2010). Pragmatics, (Translated by: Qusai Attabi), Lebanon: Arab Scientific Publishers. Morocco: Dar Al-Aman (1996) .*

Magazines and periodicals:

- *Ali, Assem Shehata and EL-King, Othman Jamil Qassem. (2015). the presupposition as a pragmatics concept in ancient Arabs linguistics thought - description and analysis- (Approaches in linguistics and literature between tradition and renewal), International Islamic university, Malaysia, The 5th International Conference: 41- 57.*